# مناهج المفسرين في تعليل أفعال الله تعالى من خلال تفسيرهم لقوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:56]

مروه محمود خرمه*

مروه محمود خرمه*

## ملخص

تعددت آراء المفسرين في تفسير قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}، وقد تعددت مناهجهم في تعليل أفعال الله تعالى أو نفي التعليل أو عدم التطرق للمسألة من خلال بيانهم لنوع اللام في قوله تعالى (ليعبدون)، فمنهم من لم يشر إلى هذه المسألة العقدية، ومنهم من أشار إلى الفرق الضالة ورد عليهم من خلال تفسير الآية، وقد توصلت من خلال البحث الى عدة نتائج أبرزها: أن اختلاف مناهج المفسرين وآرائهم في هذه المسألة يرجع إلى اختلاف المدارس التي ينتمون إليها، وأن هناك رأيين في تفسير الآية بين جعلها عامة تشمل الجن والإنس جميعا، وجعلها خاصة بالمؤمنين فقط، وإن القول بتخصيص الآية لا يسبب إشكالًا في فهم هذه الآية، أما القول بتعميمها فيسبب إشكالا في فهمها لما هو مشاهد من عدم عبادة الكل لله تعالى، وقد دفع المفسرون هذا الإشكال بعدة توجيهات، وأن الاهتمام الأكبر لأغلب المفسرين في تفسير هذه الآية لم يتوجه إلى الخوض في مسألة تعليل أفعال الله تعالى بطريقة المتكلمين، وإنما كان الاهتمام الأكبر عند جل المفسرين هو توجيه العبد إلى القيام إلى القيام طوعًا بوظيفة العبودية التي تنجيه يوم القيامة، وهو المنهج الأجدر أن يتبع في تفسير آيات الله تعالى بتوجيه الاهتمام إلى الجانب العملي عوضا عن الخوض في مسائل نظرية لا طائل من الخوض فيها.

**الكلمات الدالة:** منهج، مفسرين، عبادة، تعليل أفعال الله تعالى.

**المقدمة**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد؛

فقد تعددت مناهج المفسرين في تفسيرهم للقرآن الكريم، ما بين تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي فيه التفسير البياني وآخر فقهي وآخر إشاري، وتفسير حديث الى غير ذلك من تقسيمات، وإن هذا البحث فيه تعريف بمناهج المفسرين في تفسيرهم لآية غاية في الأهمية وهي قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} إذ فيها بيان لوظيفة الإنسان التي خلق مأمورا بتحقيقها، وقد تعددت آراء المفسرين وتنوعت مناهجهم في تفسير هذه الآية العظيمة، وجاء البحث ليتناول دراسة تحليلية لنماذج من تفسير المفسرين لهذه الآية الكريمة ومناهجهم في ذلك وكان بعنوان: (مناهج المفسرين في تعليل أفعال الله تعالى من خلال تفسيرهم لقوله تعالى:{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}). والله الموفق.

**أهمية البحث ومسوغات اختياره:**

تظهر أهمية هذا البحث في كونه يبحث في تفسير آية هي محور حياة العبد في فهم وظيفته في الوجود، ولما كانت هذه الآية مصرحة بأن وظيفة الجن والانس هي العبادة، وكنا نرى بعض هؤلاء الخلق غيرَ عابدين لله؛ استدعى ذلك البحث في تفسير هذه الآية لفهم المراد بها، ولما كانت مناهج المفسرين متعددة في تفسيرهم للقرآن الكريم كان من الجدير بالبحث دراسة مناهجهم في تفسير هذه الآية الكريمة ومعرفة إن كان اختلاف مناهجهم يؤثر في المعنى المستفاد عندَهم منها أم لا.

**أهداف البحث:**

تهدف هذه الدراسة إلى عدة أهداف أبرزها:

* قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية القانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة. تاريخ استلام البحث 2018/6/4، وتاريخ قبوله 2018/10/28.

 © 2019 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

1. التعرف إلى أقوال المفسرين ومناهجهم في تفسير قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} وأدلتهم على تلك الأقوال.
2. بيان الجانب العقدي المتعلق بتفسير هذه الآية في مسألة تعليل أفعال الله تعالى.
3. التعرف إلى أثر اختلاف مناهج المفسرين في تناولهم لتفسير هذه الآية.

**إشكالية البحث:**

يحاول هذا البحث أن يجيب عن عدة تساؤلات أبرزها:

1. ما الفروقات بين منهج التفسير بالمأثور ومنهج التفسير بالرأي والتفسير الحديث في تناول المفسرين لقوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}؟
2. ما الفرق بين تخصيص هذه الآية وتعميمها، وما أثر ذلك في تفسير الآية وانعكاسها على حياة العباد؟
3. ما أدلة كل رأي من الآراء في تفسير هذه الآية الكريمة؟ وما ردود المفسرين على المعتزلة في مسألة تعليل أفعال الله تعالى في تفسير هذه الآية؟
4. ما وجه التوفيق بين خلق الجن والإنس للعبادة والواقع الملموس من وجود بعض من لم يتحقق بهذه العبادة؟

**محددات البحث:**

إن عدد المفسرين كبير ولا يمكن تناولهم في بحث مختصر كهذا؛ لذلك فإن هذا البحث سيتناول نماذج من المفسرين للتعبير عن كل منهج من مناهج المفسرين على سبيل التمثيل لا الحصر.

**منهج البحث:**

اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي الناقص بتتبع نماذج من آراء المفسرين في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة، ثم المنهج الاستنباطي التحليلي للخلوص الى النتائج المتعلقة بأهم الاراء والمناهج في تفسير هذه الآية، ثم المنهج المقارن بين تلك المناهج المتعددة.

**خطة البحث:**

قسمت هذا البحث إلى تمهيد وأربعة مباحث، التمهيد فيه بيان لمناهج المفسرين بشكل عام في تفسيرهم للقرآن الكريم، أما المبحث الأول ففيه بيان تفسير قوله تعالى{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} في مدرسة التفسير بالمأثور، ثم المبحث الثاني وفيه بيان لتفسير قوله تعالى:{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} في مدرسة التفسير بالرأي لتشمل: (الرأي الجائز والرأي المذموم والتفسير البياني والفقهي والإشاري)، ثم المبحث الثالث الذي تناول بيان تفسير قوله تعالى:{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} في مدرسة التفسير في العصر الحديث، أما المبحث الرابع ففيه خلاصة المناهج والآراء وأدلتها في تفسير هذه الآية. وختمت بخاتمة فيها أبرز النتائج، والله ولي التوفيق.

**تمهيد: مناهج المفسرين في تفسير القرآن الكريم**

تعددت مناهج المفسرين في تفسيرهم للقرآن الكريم، وتعددت كذلك تقسيمات العلماء لتلك المناهج، فمن التقسيمات:

1. التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي(المذموم والجائز)، تفسير الصوفية، تفسير الفلاسفة، تفسير الفقهاء، التفسير العلمي[1].
2. المدرسة العقلية الاجتماعية، المدرسة العلمية الكونية، المدرسة التربوية الوجدانية، مدرسة الجمهور[2].
3. الاتجاه البياني، الاتجاه الفقهي، الاتجاه العقدي، الاتجاه العلمي، الاتجاه الموضوعي، الاتجاهات المنحرفة[3].
4. التفسير بالمأثور، التفسير بالرأي(الجائز وغير الجائز)، تفاسير الفرق المختلفة، تفاسير المعتزلة، تفاسير الباطنية، تفاسير الشيعة، التفسير الاشاري[4].
5. التفسير بالمأثور، التفسير الأثري النظري، التفسير بالرأي المحمود او التفسير العقلي المنضبط بالضوابط والشروط المطلوبة، الاتجاهات المنحرفة في التفسير، التفسير في العصر الحديث[5].

الى غير ذلك من تقسيمات لمناهج المفسرين، وعلى تنوعها فلا تخلو من فوائد جمة، ويرجع هذا التنوع في مناهج المفسرين الى اختلاف مشاربهم واهتماماتهم وتخصصاتهم وحاجة عصرهم والدافع لتأليفهم والفئة الموجه إليها خطابهم، كما تعددت تقسيمات المصنفين من العلماء المحدثين لمناهج المفسرين وفق تركيز المصنف على جانب معين، فمن ركز اهتمامه على نوع علم المفسرين والفرقة التي ينتسب اليها قسمهم الى تفسير صوفية وتفسير فلاسفة وفقهاء ونحو ذلك، ومن نظر الى مناهجهم قسمهم

الى مدرسة اجتماعية ومدرسة علمية ونحو ذلك، ومن نظر الى طبيعة مضمون التفاسير قسمها الى بياني وعلمي وموضوعي ونحو ذلك، الى غير ذلك من تقسيمات، وبالجملة فإن المفسرين لم يتخذوا منهجا موحدا للتفسير، كما ان المحدثين من الدارسين لمناهج المفسرين لم يتفقوا على تقسيم المفسرين بحسب مناهجهم تقسيما واحدا، بل كلٌّ اجتهد فيما يرى و(لكلٍّ وجهة هو موليها)، وليس مطلوبنا في هذا البحث الاسترسال في دراسة مناهج المفسرين وتقييمها وذكر اراء العلماء فيها وانما تكفينا الاشارة الى تعدد مناهج المفسرين بشكل عام، ثم تخصيص الدراسة في التعرف الى مناهج المفسرين في تفسيرهم للآية مدار البحث وهي قوله تعالى {وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون}.

وقد اجتهدت في هذا البحث أن أقسم مناهج المفسرين إلى ثلاثة أقسام عامة فقط؛ القسمان الأول والثاني عند القدامى، والقسم الثالث عند المحدثين، وذلك تحت ثلاثة عناوين: القسم الأول: التفسير بالمأثور، والقسم الثاني: التفسير بالرأي (ويشمل التفسير بالرأي الجائز والمذموم والتفسير البياني والفقهي والإشاري؛ فكلها تفاسير بالرأي لا بالمأثور)، ثم القسم الثالث التفسير في العصر الحديث.

وقد تنوعت مناهج المفسرين في تفسيرهم لقوله تعالى:{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}، وفي المباحث الآتية بيان لتلك المناهج وتحليل لآراء المفسرين وأدلتهم في تفسير هذه الآية الكريمة. والله الموفق.

## المبحث الأول
## تفسيرُ الآية في مدرسة التفسير بالمأثور

**أولا: تفسير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للطبري (المتوفى: 310هـ):**

بين الامام الطبري أن أهل التأويل اختلفوا في تأويل قوله: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنس إلا ليعبدون) ونقل رأيين في تفسير هذه الآية _ذاكرا روايات مسندة إلى أصحابها_:

الرأي الأول: وهو المخصص للآية بجعلها خاصة بالمؤمنين ممن عبدوا الله تعالى، فقد نقل الطبري عن زيد بن أسلم بروايات متصلة قال: معنى ذلك: وما خلقت السُّعداء من الجنّ والإنس إلا لعبادتي، والأشقياء منهم لمعصيتي. اي: ما جبلوا عليه من الشقاء والسعادة. ونقل الطبري عن سفيان أنها بمعنى: من خلق للعبادة. (6)

الرأي الثاني: وهو المعمم للآية لتشمل الجن والإنس جميعا؛ قال الطبري: "وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليذعنوا لي بالعبودة". ونقل عن ابن عباس: (إلا ليقروا بالعبودة طوعا وكرها) ثم رجح الرأي الثاني فقال:"وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرنا عن ابن عباس، وهو: ما خلقت الجنّ والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا"(7).

ولم يغفل الطبري عن وجود اعتراض من كوننا نرى في الواقع من كفر بالله ولم يعبده فكيف تشمله الآية قال: "فإن قال قائل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟ قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم، لأن قضاءه جار عليهم، لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه. (8)"

ونلاحظ هنا أن الرأي الأول قد خص الآية بأنها تتعلق بمن سعد بالتوفيق الى عبادة الله تعالى وليست متعلقة بالخلق جميعا، أما الرأي الثاني فقد عمم الآية لتشمل جميع الخلق فهم كلهم خلقوا للتذلل سواء طوعا أم كرها، ونلاحظ أن الطبري نقل الرأي الثاني ورجحه لكنه أضاف عليه توجيها للمعترض بأن الآية تشمل الخلق جميعا من حيث الخضوع لقضاء الله حتى لو امتنع بعض الخلق من تنفيذ العبودية، فشمل الرأي الثاني عدة معانٍ هي: ما خلقوا الا ليقروا بالعبودية ويتذللوا لله طوعا وكرها، والمعنى الثاني انهم خلقوا للتذلل لقضائه.

**ثانيا: تفسير (معالم التنزيل) للبغوي (المتوفى: 516 هـ):**

نقل البغوي الرأيين في تفسير هذه الآية:

الرأي الأول تخصيصها بالمؤمنين: قال:"{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنس إلا ليعبدون}، قال الكلبي والضحاك وسفيان: هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين، يدل عليه قراءة ابن عباس: "وما خلقت الجن والإنس –من المؤمنين – إلا ليعبدون "، ثم قال في أخرى: "ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس"،(الأعراف–79). وقال بعضهم: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم إلا لمعصيتي، وهذا معنى قول زيد بن أسلم، قال: هو على ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة."(9)

ثم ذكر الرأي الثاني العام: قال: "وقال علي بن أبي طالب: " إلا ليعبدون " أي إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي، يؤيده قوله عز وجل: "وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا".(التوبة-31). وقال مجاهد: إلا ليعرفوني. وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده، دليله: قوله تعالى: "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله"(الزخرف-87). وقيل: معناه إلا ليخضعوا إليّ ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، متذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجًا عما خلق عليه.وقيل: " إلا ليعبدون " إلا ليوحدوني، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله عز وجل: "فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين".(العنكبوت-65)"[10]

فالبغوي نقل الرأيين وذكر أدلة على كل منهما، فنقل الرأي الأول ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما دليلا من القرآن الكريم على تخصيص الآية بالمؤمنين، ثم ذكر الرأي الثاني الذي يعمم الآية ويشمل عدة تفسيرات هي: لآمرهم بالعبادة، وليعرفون ورجحه على الرأي السابق، واستدل عليه بآية كريمة، ونقل تفسيرا آخر وهو إلا ليخضعوا لي، ووجهه بأنه الخضوع لقضاء الله ومشيئته، وذكر تفسيرا آخر كذلك هو: الا ليوحدون سواء في الشدة ام في الرخاء ليشمل الخلق جميعا واستدل على ذلك بآية كريمة. وقد رجح البغوي القول بأن المعنى (الا ليعرفون) ليشمل جميع الخلق.

**ثالثا: تفسير (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لابن عطية (المتوفى: 542هـ):**

أشار ابن عطية إلى مسألة الإرادة الإلهية وعدم تخلفها، مما يعني عدم تفسير الآية بإرادة الله العبادة من الجميع: "وقوله تعالى: {وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنس إلا ليعبدون} اختلف الناس في معناه مع إجماع أهل السنة على أن الله تعالى لم يرد أن تقع العبادة من الجميع، لأنه لو أراد ذلك لم يصح أن يقع الأمر بخلاف إرادته"[11]

ثم نقل الرأي المعمم للآية لتشمل الجن والانس جميعا قال: "فقال ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما المعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم بعبادتي، وليقروا لي بالعبودية فعبر عن ذلك بقوله: لِيَعْبُدُونِ إذ العبادة هي مضمن الأمر"[12]

ونقل الرأي المخصص للآية وذكر ما يؤيده وهو رواية عن ابن عباس فقال: "وقال زيد بن أسلم وسفيان: المعنى خاص، والمراد: وَما خَلَقْتُ الطائعين من الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إلا لعبادتي، ويؤيد هذا التأويل أن ابن عباس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ: «وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدوني»"[13]

ثم رجع لينقل الرأي المعمم لها في رواية اخرى عن ابن عباس قال: "وقال ابن عباس أيضا معنى: لِيَعْبُدُونِ أي ليتذللوا لي ولقدرتي، وإن لم يكن ذلك على قوانين الشرع." وبين ابن عطية أنه على هذا التأويل العام فجميع الجن والإنس عابد متذلل والكفار كذلك، ألا تراهم عند القحط والأمراض وغير ذلك[14]. وذكر احتمالا آخر في تفسيرها لتكون عامة مستدلا على ذلك ببعض الأحاديث فقال: "وتحتمل الآية أن يكون المعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا معدين ليعبدون، وكأن الآية تعديد نعمه؛ أي خلقت لهم حواس وعقولا وأجساما منقادة نحو العبادة، وهذا كما تقول: البقر مخلوقة للحرث، والخيل للحرب، وقد يكون منها ما لا يحارب به أصلا، فالمعنى أن الإعداد في خلق هؤلاء إنما هو للعبادة، لكن بعضهم تكسب صرف نفسه عن ذلك، ويؤيد هذا المنزع قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[15]. وقوله: «كل مولود يولد على الفطرة»[16]"[17]

وبذلك نقل ابن عطية عدة أقوال في تفسير الآية وأيد كلا الرأيين بأدلة وأضاف عليها احتمالات أخرى، ثم اختار احتمالا لتفسيرها المعمم لها بأنهم معدون للعبادة.

**رابعا: تفسير (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (المتوفى: 774هـ):**

فسر ابن كثير الآية بالعموم اذ قال: "أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم."[18] ثم نقل أقوالا موافقة لما اختاره فقال:"وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: { إلا ليعبدون} أي: إلا ليقروا بعبادتي طوعا أو كرها، وهذا اختيار ابن جرير. وقال ابن جُرَيْج: إلا ليعرفون. وقال الربيع بن أنس: { إلا ليعبدون} أي: إلا للعبادة. وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [ لقمان: 25 ] هذا منهم عبادة، وليس ينفعهم مع الشرك."[19]

ثم أردف ما سبق بنقل الرأي الثاني المخصص للآية بقوله: "وقال الضحاك: المراد بذلك المؤمنون."[20]

ونلاحظ من خلال هذه النماذج من التفسير بالمأثور أن مناهج المفسرين في هذه المدرسة تظهر في اعتماد أصحابها على الروايات المنقولة عن السلف في تفسير الآية الكريمة، وأنها شملت الرأيين المعمم للآية والمخصص لها، وأن بعض المفسرين في

هذه المدرسة اكتفى بالنقل للآراء دون ترجيح وبعضهم رجح الرأي الذي اختاره ونقل بقية الآراء، ومنهم من ذكر أدلة على كل رأي ومنهم من لم يذكرها.

## المبحث الثاني
## تفسيرُ الآية في مدرسة التفسير بالرأي

**أولا: التفسير بالرأي الجائز:**

**1. تفسير (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) للرازي (المتوفى: 606هـ):**

ذكر الرازي لهذه الآية فوائد كثيرة، منها وجوه فيما يخص تعلقها بما قبلها: أحدها: أنه تعالى لما قال: {وذكِّر} [الذاريات: 55] يعني أقصى غاية التذكير وهو أن الخلق ليس إلا للعبادة، فالمقصود من إيجاد الإنسان العبادة، فذكرهم به، وأعلمهم أن كل ما عداه تضييع للزمان، الثاني: هو أنا ذكرنا مرارا أن شغل الأنبياء منحصر في أمرين عبادة الله وهداية الخلق، فلما قال تعالى: {فتول عنهم فما أنت بملوم} [الذاريات: 54] بين أن الهداية قد تسقط عند اليأس وعدم المهتدي، وأما العبادة فهي لازمة والخلق المطلق لها وليس الخلق المطلق للهداية، فما أنت بملوم إذا أتيت بالعبادة التي هي أصل إذا تركت الهداية بعد بذل الجهد فيها، الثالث: هو أنه لما بين حال من قبله من التكذيب، ذكر هذه الآية ليبين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله فما كان خلقهم إلا للعبادة"[21]

وأما التفسير فذكر الرازي عدة مسائل: المسألة الأولى: الملائكة أيضا من أصناف المكلفين ولم يذكرهم الله في هذه الآية، والمسألة الثانية: تقديم الجن على الإنس لأية حكمة؟[22] أما المسألة الثالثة فهي محور هذا البحث المتعلق بتعليل أفعال الله تعالى، قال الرازي: "فعل الله تعالى ليس لغرض وإلا لكان بالغرض مستكملا وهو في نفسه كامل فكيف يفهم لأمر الله الغرض والعلة؟ نقول: المعتزلة تمسكوا به، وقالوا أفعال الله تعالى لأغراض وبالغوا في الإنكار على منكري ذلك، ونحن نقول فيه وجوه الأول: أن التعليل لفظي ومعنوي، واللفظي ما يطلق الناظر إليه اللفظ عليه وإن لم يكن له في الحقيقة، مثاله إذا خرج ملك من بلاده ودخل بلاد العدو وكان في قلبه أن يتعب عسكر نفسه لا غير، ففي المعنى المقصود ذلك، وفي اللفظ لا يصح ولو قال هو أنا ما سافرت إلا لابتغاء أجر أو لأستفيد حسنة يقال: هذا ليس بشيء ولا يصح عليه، ولو قال قائل في مثل هذه الصورة خرج ليأخذ بلاد العدو وليرهبه لصدق، فالتعليل اللفظي هو جعل المنفعة المعتبرة علة للفعل الذي فيه المنفعة، يقال اتجر للربح، وإن لم يكن في الحقيقة له، إذا عرفت هذا، فنقول الحقائق غير معلومة عند الناس، والمفهوم من النصوص معانيها اللفظية لكن الشيء إذا كان فيه منفعة يصح التعليل بها لفظا والنزاع في الحقيقة في اللفظ الثاني: هو أن ذلك تقدير كالتمني والترجي في كلام الله تعالى وكأنه يقول العبادة عند الخلق شيء لو كان ذلك من أفعالكم لقلتم إنه لها، كما قلنا في قوله تعالى: لعله يتذكر [طه: 44] أي بحيث يصير تذكرة عندكم مرجوا وقوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم [الأعراف: 129] أي يصير إهلاكه عندكم مرجوا تقولون إنه قرب"[23]

أما الوجه الثاني في نفي الرازي لتعليل أفعال الله تعالى ففي قوله: "الثاني: هو أن اللام قد تثبت فيما لا يصح غرضا كما في الوقت قال تعالى: {أقم الصلاة لدلوك الشمس} [الإسراء: 78] وقوله تعالى: {فطلقوهن لعدتهن} [الطلاق: 1] والمراد المقارنة، وكذلك في جميع الصور، وحينئذ يكون معناه: قرنت الخلق بالعبادة؛ أي بفرض العبادة أي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة، والذي يدل على عدم جواز التعليل الحقيقي هو أن الله تعالى مستغن عن المنافع فلا يكون فعله لمنفعة راجعة إليه ولا إلى غيره، لأن الله تعالى قادر على إيصال المنفعة إلى الغير من غير واسطة العمل فيكون توسط ذلك لا ليكون علة، وإذا لزم القول بأن الله تعالى يفعل فعلا هو لمتوسط لا لعلة لزمهم المسألة، وأما النصوص فأكثر من أن تعد وهي على أنواع، منها ما يدل على أن الإضلال بفعل الله كقوله تعالى: {يضل من يشاء} [الرعد: 27] وأمثاله، ومنها ما يدل على أن الأشياء كلها بخلق الله كقوله تعالى: {خالق كل شيء} [الرعد: 16] ومنها الصرائح التي تدل على عدم ذلك، كقوله تعالى: {لا يسئل عما يفعل} [الأنبياء: 23] وقوله تعالى: {ويفعل الله ما يشاء} [إبراهيم: 27] {يحكم ما يريد} [المائدة: 1] والاستقصاء مفوض فيه إلى المتكلم الأصولي لا إلى المفسر"[24].

أما المسألة الرابعة فكانت في نفي التعارض المتوهم بين هذه الآية وقوله تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا} [الحجرات: 13] في حين قال هنا: {ليعبدون} فهل بينها اختلاف؟ أجاب الرازي بقوله: "نقول ليس كذلك؛ فإن الله تعالى علل جعلهم شعوبا بالتعارف، وهاهنا علل خلقهم بالعبادة، وقوله هناك {أكرمكم عند الله أتقاكم} [الحجرات: 13] دليل على ما ذكره هاهنا وموافق له، لأنه إذا كان أتقى كان أعبد وأخلص عملا، فيكون المطلوب منه أتم في الوجود فيكون

أكرم وأعز، كالشيء الذي منفعته فائدة، وبعض أفراده يكون أنفع في تلك الفائدة، مثاله الماء إذا كان مخلوقا للتطهير والشرب فالصافي منه أكثر فائدة في تلك المنفعة فيكون أشرف من ماء آخر، فكذلك العبد الذي وجد فيه ما هو المطلوب منه على وجه أبلغ".[25].

أما المسألة الخامسة فتتعلق ببيان ما العبادة التي خلق الجن والإنس لها؟ وجوابه عند الرازي قال: "قلنا: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، فإن هذين النوعين لم يخل شرع منهما، وأما خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان والشرائط والأركان، ولما كان التعظيم اللائق بذي الجلال والإكرام لا يعلم عقلا لزم اتباع الشرائع فيها والأخذ بقول الرسل عليهم السلام فقد أنعم الله على عباده بإرسال الرسل وإيضاح السبل في نوعي العبادة." [26].

وبعد أن اختار الرازي ان تكون الآية عامة شاملة للجن والإنس جميعا ذكر الرأي المخصص للآية بصيغة(قيل) كأنه يشير الى تضعيفه لهذا الرأي إذ قال: "وقيل: إن معناه ليعرفوني؛ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن ربه «كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف»"

ولم يعلق الرازي على مدى صحة هذه الرواية التي ذكرها العلماء في الأحاديث المشتهرة بين الناس مع انها غير مقبولة من حيث السند، ذلك أن ما يروى حديثا قدسيًا بنص: [كنت كنزاً لا يُعرف، فأحببتُ أن أُعرف، فخلقت الخلق، وتعرّفت لهم فَبِي عرفوني] خبر مشهور لا أصل له سنداً، أما معناه فصحيح، ومما قيل فيه: " قال ابن تيمية(ت728هـ): موضوع "[27]. وقال السيوطي(ت911هـ): "لا أصل له".[28].وبلفظ: ((كنت كنزاً لا أعرف، فأحببت أن أُعرف فخلقتُ خلقاً فعّرفتهم بي فعرفوني))، قال العجلوني(ت 1162هـ): "وفي لفظ ((فتعرفت إليهم فبي عرفوني))، قال ابن تيمية: (ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف)، وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلىء والسيوطي وغيرهم، وقال القاري: لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:56] أي: ليعرفوني، كما فسّره ابن عباس رضي الله عنهما، والمشهور على الألسنة ((كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فبي عرفوني))، وهو واقع كثيرا في كلام الصوفية، واعتمدوه وبنوا عليه أصولاً لهم".[29] ونقل ابن كثير عن ابن جريح تفسير الآية بقوله: إلا ليعرفون_كما مر معنا.

ونلاحظ هنا ان الرازي نقل الآراء في تفسير هذه الآية الكريمة وذكر ادلة على كل منها وتطرق الى مسائل كثيرة متعلقة بها ورد على ما يبدو من تعارض او تناقض بين هذه الآية والايات ذات الصلة وفي نقله للقول المخصص للآية بصيغة(قيل) اشارة الى عدم تأييده لهذا الرأي. ونلاحظ تطرقه الى تفسير الآية بأسلوب أهل العقيدة بالتطرق بشكل مباشر وصريح لمسألة تعليل أفعال الله.

**2. تفسير (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاوي (المتوفى: 691هـ):**

اختار البيضاوي أن تكون هذه الآية عامة تشمل جميع الجن والنس من حيث استعدادهم للعبادة، ومنع أن تكون على ظاهرها بدليل الآية التي تخبرنا ان الله خلق لجهنم كثيرا من الجن والانس، قال: "{وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنس إلا ليعبدون}: لما خلقهم على صورة متوجهة إلى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مُغَيَّاً بها مبالغة ذلك، ولو حمل على ظاهره مع أن الدليل يمنعه لنا في ظاهر قوله: {وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ}[30]" ونقل ما قيل في تفسيرها أيضا: "وقيل معناه إلا لأمرهم بالعبادة أو ليكونوا عباداً لي"[31].

وبذلك لم يشر البيضاوي الى الرأي المخصص للآية، بل اختار تعميمها، ونقل الأقوال الموافقة لاختياره كذلك.

**3. تفسير (نظم الدرر) للبقاعي (المتوفى: 885هـ):**

اختار البقاعي تعميم الآية لتشمل الجن والانس جميعا فقال: "{وما خلقت الجن والإنس (الذين أكثرهم كافرون) إلا ليعبدون} أي لينجروا تحت أقضيتي على وجه ينفعون به أنفسهم أو يضرونها، لا لشيء يلحقني أنا منه شيء من نفع أو ضرر، فإني بنيتهم على العجز وأودعتهم نوازع الهوى، وركبت فيهم غرائز فهيأتهم لاتباع الهدى، فمن أطاع عقله كان عابداً لي، فارّاً إليّ، مع جريه تحت الإرادة، عبادة شرعية أمرية يستفيد بها الثواب، ومن أطاع الهوى كان عابداً لي، مع مخالفته أمري، عبادة إرادية قسرية يستحق بها العقاب، وكل تابع لهواه إذا حقق النظر علم أن الخير في غير ما هو مرتكبه، فما ألزمه ما هو فيه مع علمه بأن غيره خير منه إلا قهر إرادتي، فهذه عبادة لغوية، وذاك عبادة شرعية، وقد مر في آخر هود ما ينفع هنا[32]، وهذا كله معنى قول ابن عباس: إلا ليقروا لي بالعبادة طوعاً وكرهاً. ولما حصر سبحانه خلقهم في إرادة العبادة، صرح بهذا المفهوم بقوله: {ما أريد منهم}

أي في وقت من الأوقات."[33]

ولم يذكر البقاعي الرأي القائل بخصوصية هذه الآية، ولم ينقل الأقوال المتعددة في تفسير هذه الآية، سواء من خصصها أو عممها، واكتفى بذكر ما يراه مناسبا في تفسيرها بربط الآية بالإرادة بجعل الجن والإنس صنفين صنف عابد لله عباده شرعية موافقة للأمر الإلهي وصنف عابد لله عبادة قسرية موافقة للإرادة الإلهية.. بمعنى أن الآية تشير الى ان الله يريد العبادة من الجميع سواء كانت طوعا أم كرها فهي متحققة حتما وفق رأي البقاعي بتعميمه لهذه الآية فالكل عابد لله.

**4. تفسير (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير) للشربيني (المتوفى: 977هـ):**

نقل الشربيني الخلاف في تفسير هذه الآية مرجحا الرأي المعمم لها ومقدما له على الرأي المخصص لها قال: "{وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون} واختلف في تفسير ذلك؛ فأكثر المفسرين على أن المراد بهم العموم، ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأنّ الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك بريت هذا القلم لأكتب به فإنك قد لا تكتب به هكذا قال الجلال المحلي، وأوضح منه ما قاله ابن عادل: إنّ المعنى إلا مُعَدّين للعبادة؛ ثم منهم من يتأتى منه ذلك ومنهم من لا، كقولك: هذا القلم بريته للكتابة؛ ثم قد لا تكتب به وقد تكتب. انتهى. أو أنّ المراد إلا لآمرهم بالعبادة وليقروا بها، وهذا منقول عن عليّ بن أبي طالب، أو أنّ المراد ليطيعوا وينقادوا لقضائي، فالمؤمن يفعل ذلك طوعاً والكافر يفعل ذلك كرهاً، أو أنّ المراد إلا ليوحدون فأمّا المؤمن فيوحد اختياراً في الشدّة والرخاء، وأمّا الكافر فيوحد اضطراراً في الشدّة والبلاء دون النعمة والرخاء. وقال مجاهد: معناه إلا ليعرفون قال البغوي: وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده بدليل قوله تعالى: {ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله} (الزخرف: 87)"[34].

فالأقوال في تعميم هذه الآية تشمل: الا معدين للعبادة، او لآمرهم وليقروا بها، او لينقادوا لقضائي طوعا وكرها، او ليوحدون في الشدة والرخاء، او ليعرفون.

ثم نقل الرأي المخصص للآية بصيغة التضعيف قائلا: "وقيل: المراد به الخصوص أي: ما خلقت السعداء من الجنّ والأنس إلا لعبادتي، والأشقياء منهم إلا لمعصيتي. قال زيد بن أسلم: قال هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة، ويؤيده قوله تعالى {ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس} (الأعراف: 179)، وقيل: وما خلقت الجنّ والإنس المؤمنين وقيل: الطائعين"[35].

ثم اشار الشربيني الى مسألة تعليل أفعال الله تعالى ورده على المعتزلة بنفيه ان تكون اللام في {ليعبدون} لام التعليل اذ قال: "تنبيه: استدلّ المعتزلة بهذه الآية على أنّ أفعال الله تعالى معللة بالأغراض، وأجيبوا بوجوه منها: أنّ اللام قد ثبتت لغير الغرض كقوله تعالى: {أقم الصلاة لدلوك الشمس} (الإسراء: 78)، وقوله تعالى {فطلقوهنّ لعدّتهنّ} (الطلاق: 1)، ومعناه المقارنة فيكون معناه قرنت الخلق بالعبادة أي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة، ومنها قوله تعالى {الله خالق كل شيء} (الرعد: 16)، ومنها ما يدلّ على أنّ الإضلال بفعل الله كقوله تعالى {يضل من يشاء} (الرعد: 27)، وأمثاله، ومنها قوله تعالى {لا يسئل عما يفعل} (الأنبياء: 23)، وقوله تعالى {يفعل ما يشاء} (آل عمران: 40)، {ويحكم ما يريد} (المائدة: 1)"[36]

ونلاحظ هنا نقل الشربيني رأي الرازي حرفيا في رده على المعتزلة في هذا الموضع. ثم ذكر أربعة أوجه من الحكمة في أنه لم يذكر الملائكة.[37]

**ثانياً: التفسير بالرأي المذموم**

**تفسير (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) للزمخشري (المتوفى: 538هـ):**

علل الزمخشري أفعال الله في تفسيره لهذه الآية، وأخذ بالقول الذي يعمم الآية لتشمل جميع الجن والانس، إلا أنه نحى منحى الفكر المعتزلي، وذهب الى ان الله خلق الجن والانس لأجل العبادة، مريدا للعبادة منهم جميعا، لكن منهم من حقق مراد ربه، ومنهم من لم يحقق مراد ربه_وحاشاه_ قال الزمخشري: "أي: وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم إلا إياها. فإن قلت: لو كان مريداً للعبادة منهم لكانوا كلهم عباداً؟ قلت: إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها، لأنه خلقهم ممكنين، فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها، ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم"[38].

فالزمخشري يرى أن الله يريد العبادة من الجميع؛ لكن البعض ترك العبادة فلم يحقق مراد الله تعالى، _وحاشا لله ان يريد شيئا ولا يتحقق، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا_ والإرادة المقصودة هنا هي المحبة والرضى والأمر وليست مطلق الارادة، وهذا الرأي للزمخشري يتفق مع مذهب المعتزلة الذي ينتمي إليه في نفيهم إرادة الله تعالى لجميع الأشياء وتخصيصهم مراده لما يأمر به ويحبه ويرضيه. إذ يرى المعتزلة أن الإرادة هي عين المحبة، وبناءً عليه فالله لا يحب القبائح، إذن هو لا يريدها، فإرادته

تعالى تتعلق بالحسن دون القبيح، يقول القاضي عبد الجبار(ت415هـ) مؤكداً كون المحبة عين الإرادة: "اعلم أن المحب لو كان له بكونه محباً صفة سوى كونه مريداً، لوجب أن يعلمها من نفسه، أو يصل إلى ذلك بدليل، وفي بطلان ذلك دلالة على أن حال المحب هو حال المريد، ولذلك متى أراد الشيء أحبه، ومتى أحبه أراده، ولو كان أحدهما غير الآخر، لامتنع كونه محبا لما لا يريد، أو مريداً لما لا يحب على بعض الوجوه، فثبت بهذه الجملة أن كل من جازت عليه الإرادة، جازت عليه المحبة، وأنه تعالى إذا صح كونه مريداً، فيجب كونه محبا، وكل ما صح أن يريده صح أن يحبه، وكل ما أوجب قبح محبته، أوجب قبح إرادته "[39].

وذلك بناءً على أن المحبة هي عين الإرادة عند المعتزلة، بخلاف ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن المحبة ليست مطلق الإرادة بل هي إرادة مخصوصة؛ إذ ان المحبة عندهم هي: إرادة الإنعام والإحسان وإيصال الثواب إلى العبد المحبوب.

وإذا كانت المحبة مرتبطة بالإرادة فإنها مرتبطة كذلك بالأمر عند المعتزلة، فكل مأمور به فهو محبوب مراد، وكل منهي عنه فهو مكروه غير مراد، قال القاضي عبد الجبار: "...فإن قيل: فما الدليل على أن الله تعالى لا يريد المعاصي، وما أنكرتم أن كل شيء يقع في العالم فبإرادة الله تعالى ومشيئته؟ قيل له: إنا نقول إن كل ما أمر الله به عز وجل من عبادات فقد أراده وأحبه وشاءه ورضيه، وكل ما نهى عنه من المعاصي فقد كرهه وسخطه وعابه وذمه وتوعد عليه بالعقاب، والدليل على ذلك أن الحكيم لا يجوز أن يأمر بما يكره أو ينهى عما يريد، فقد أمر الله بالإيمان، فيجب أن يكون مريداً له، ونهى عن الكفر فيجب أن يكون كارها له، وقد قال عز وجل: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِالمين}[40] [آل عمران:108]، وقال بعد ما ذكر المعاصي: {كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً} [الإسراء:38]"[41]. وقد استدل المعتزلة على رأيهم هذا بآيات كثيرة ورد عليهم العلماء في ذلك[42].

وقد عقب ابن المنير (ت 683هـ) على كلام الزمخشري في تفسير الآية _مدار البحث_ فقال: " قال محمود[أي الزمخشري]: «إلا لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم إلا إياها... الخ» قال أحمد[أي ابن المنير]: من عاداته أنه إذا استشعر أن ظاهراً غيرُ موافق لمعتقده نزله على مذهبه بصورة إيراد معتقد أهل السنة سؤالا، وإيراد معتقده جوابا، فكذلك صنع هاهنا، فنقول: السؤال الذي أورده مما لا يجاب عنه بما ذكره، فإنه سؤال مقدماته قطعية عقلية، فيجب تنزيل الآية عليه، وهي أن ظاهر سياق الآية دليل لأهل السنة، فإنها إنما سيقت لبيان عظمته عز وجل، وأن شأنه مع عبيده لا يقاس به شأن عبيد الخلق معهم، فإن عبيدهم مطلوبون بالخدمة والتكسب للسادة، وبواسطة مكاسب عبيدهم قدر أرزاقهم. والله تعالى لا يطلب من عباده رزقا ولا إطعاما، وإنما يطلب منهم عبادته لا غير، وزائد على كونه لا يطلب منهم رزقا أنه هو الذي يرزقهم، فهذا المعنى الشريف هو الذي تجلى تحت راية هذه الآية، وله سيقت، وبه نطقت، ولكن الهوى يعمى ويصم، فحاصله: وما خلقت الجن والانس إلا لأدعوهم إلى عبادتي، وهذا ما لا يعدل عنه أهل السنة، فإنه وافق معتقدهم وبالله التوفيق. وقوله «لو كان مريدا العبادة» قد يقال: لا يلزم من خلقهم العبادة أن يريدها من جميعهم. وقوله «مع كونه مريدا لها» هذا على مذهب المعتزلة من أن إرادة الله الفعل من العبد بمعنى الأمر. وأما مذهب أهل السنة فكل ما أراده الله كان، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، وتحقيقه في علم التوحيد"[43].

وفي قول ابن المنير: "وما خلقت الجن والانس إلا لأدعوهم إلى عبادتي" دليل ان ابن المنير يعمم الآية ايضا لتشمل الجن والانس جميعا.

**ثالثاً: التفسير البياني**

**1. تفسير (البحر المحيط) لأبي حيان (المتوفى: 745هـ):**

نقل أبو حيان الرأيين في تفسير الآية فبدأ بالرأي المخصص لها اذ قال: "أي { وما خلقت الإنس والجن } الطائعين، قاله زيد بن أسلم وسفيان، ويؤيده رواية ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين »"[44]

وفي تقديمه لهذا الرأي واستدلاله عليه برواية ابن عباس دليل على ترجيحه لهذا الرأي، ثم نقل الرأي المعمم لها فقال: "وقال علي وابن عباس: { إلا ليعبدون}: إلا لآمرهم بعبادتي، وليقروا لي بالعبادة فعبر بقوله: {ليعبدون}، إذ العبادة هي مضمن الأمر، فعلى هذا الجن والإنس عام. وقيل: يحتمل أن يكون المعنى: إلا معدين ليعبدون، وكأن الآية تعديد نعمه، أي خلقت لهم حواس وعقولاً وأجساماً منقادة، نحو: العبادة، كما تقول: هذا مخلوق لكذا وإن لم يصدر منه الذي خلق له، كما تقول: القلم مبري لأن يكتب به، وهو قد يكتب به وقد لا يكتب به"[45]

ونلاحظ انه انه نقل رأي ابن عطية فيما يتعلق بتعديد نعمه لكنه لم يشر اليه.

ثم نقل رأي الزمخشري وأشار الى اعتزاله فقال: "وقال الزمخشري: (إلا لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم إلا إياها. فإن قلت: لو كان مريداً للعبادة منهم، لكانوا كلهم عباداً. قلت: إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها، لأنه خلقهم

ممكنين، فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها، ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم). انتهى، وهو على طريقة الاعتزال." [46]

وذكر بقية ما قيل في تفسير الآية مع نسبة الأقوال الى اصحابها قال: "وقال مجاهد: { إلا ليعبدون}: ليعرفون. وقال ابن زيد: لأحملهم في العبادة على الشقاوة والسعادة. وقال الربيع بن أنس: إلا للعبادة، قال: وهو ظاهر اللفظ. وقيل: إلا ليذلوا لقضائي. وقال الكلبي: إلا ليوحدون، فالمؤمن يوحده في الشدة والرخاء، والكافر في الشدة. وقال عكرمة: ليطيعون، فأثيب العابد، وأعاقب الجاحد. وقال مجاهد أيضاً: إلا للأمر والنهي." [47]

2. **تفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود (المتوفى: 982هـ):**

اختار أبو السعود تفسير الآية على العموم لتشمل جميع الجن والانس بكونهم مستعدين للعبادة، وتطرق لمسألة تعليل أفعال الله تعالى بجعل اللام في {ليعبدون} لام التعليل، ولم يجد حرجا من تعليل فعل الله باعتبار استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة، وليس بمعنى تعليل الفعل كغرض باعث على الفعل؛ إذ يتنزه الله تعالى عن ذلك، قال ابو السعود:"{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} استئناف مؤكد للأمر مقرر لمضمون تعليله؛ فإن كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه الصلاة والسلام إلى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ، ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الإنس في الوجود، ومعنى خلقهم لعبادته تعالى: خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها أتم استعداد، وأكمل تمكن، مع كونها مطلوبة منهم، بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له، فإن استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا، كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده، وإنما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض، بمعنى الباعث على الفعل، بحيث لولاه لم يفعله لإفضائه إلى استكماله بفعله، وهو الكامل بالفعل من كل وجه، وأما بمعنى نهاية كمالية يفضي إليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من أفعاله تعالى، بل كلها جارية على المنهاج، وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة، ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه أهل اللغة هذا المقدار، وبه يتحقق مدلول اللام، وأما إرادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الإرادة؛ فإن تعوق البعض عن الوصول إلى الغاية مع تعاضد المبادئ وتآخذ المقدمات الموصلة إليها لا يمنع كونها غاية، كما في قوله تعالى: {كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور}، ونظائره"[48].

ونقل الرأي المخصص للآية فقال: "وقيل: المعنى إلا ليؤمروا بعبادتي، كما في قوله تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا}، وقيل: المراد سعداء الجنسين كما أن المراد بقوله تعالى: {ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس} أشقياؤهما، ويعضده قراءة من قرأ {وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين}، وقال مجاهد واختاره البغوي: معناه إلا ليعرفوه، ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحيكه عن رب العزة: [كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف]، ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق إطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة".[49]

ونلاحظ أن ابا السعود نقل الرأي الثاني بصيغة (قيل) إشارة الى عدم تأييده له بالرغم من نقله ما ذكره أصحاب ذلك الرأي من المؤيدات له، ونرى انه نقل استناد القول بأن المعنى (ليعرفوه) على أثر لا أصل له سندا، دون ان يعقب عليه أو أن يشير الى عدم ثبوت ذلك الأثر من حيث السند.

3. **(إعراب القران وبيانه) لدرويش (المتوفى: 1403هـ):**

"(وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنس إلا ليعبدون) الواو: عاطفة، وما: نافية، وخلقت: فعل وفاعل، والجن: مفعول به، والإنس: عطف على الجن، وإلا: أداة حصر، واللام: للتعليل أو للعاقبة، ويعبدون: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا بعد لام التعليل وعلامة نصبه حذف النون، والنون المذكورة: للوقاية والواو فاعل وياء المتكلم المحذوفة في محل نصب مفعول به، ولام التعليل ومدخولها: متعلقان بخلقت"[50].

وفيما يخص البلاغة قال درويش: "البلاغة في قوله الجن والإنس: طباق، ومعنى إلا ليعبدون: أي إلا مهيئين ومستعدين للعبادة، ذلك أنني خلقت فيهم العقل وركزت فيهم الحواس والقدرة التي تمكّنهم من العبادة، وهذا لا ينافي تخلّف العبادة بالفعل من بعضهم؛ لأن هذا البعض المتخلّف وإن لم يعبد الله مركوز فيه الاستعداد والتهيؤ الذي هو الغاية في الحقيقة، وقد شجر خلاف

بين أهل السنّة والاعتزال حول هذه الآية، والواقع أنه لا خلاف؛ لأن الآية إنما سيقت لبيان عظمته سبحانه، وإن شأنه مع عبيده لا يقاس به شأن عبيد الخلق معهم، فإن عبيدهم مطلوبون بالخدمة والتكسب للسادة، وبواسطة مكاسب عبيدهم قدر أرزاقهم، والله تعالى لم يطلب من عباده رزقا ولا إطعاما، وإنما يطلب منهم عبادته ليس غير، وزيادة على كونه لا يطلب منهم رزقا إنه هو الذي يرزقهم، وهناك حجج يضيق عنها صدر هذا الكتاب فلتطلب في مظانها"[51].

فدرويش اختار الرأي المعمم للآية الكريمة ولم يشر الى ما قيل من آقوال أخرى تخصص الآية او تذكر المزيد من معاني العموم لها واكتفى بأن المعنى هو استعداد الجن والانس للعبادة سواء عبدوا او لم يعبدوا، ورد على المعتزلة بأن سياق الآية دالة على صحة مذهب اهل السنة.

**رابعاً: التفسير الفقهي**

**تفسير (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (المتوفى: 671 هـ):**

نقل القرطبي الرأيين في تفسير الآية فبدأ بالرأي المخصص لها ثم أردفه بالرأي المعمم، وأشار في آخر نقولاته إلى ترجيحه الرأي المعمم، وقد نسب الأقوال إلى اصحابها وذكر أدلة كل رأي منهما، فقال: "قيل: إن هذا خاص فيمن سبق في علم الله أنه يعبده، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص. والمعنى: وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس إلا ليوحدون. قال القشيري: والآية دخلها التخصيص على القطع؛ لأن المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة حتى يقال أراد منهم العبادة، وقد قال الله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ} [الأعراف: 179] ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة، فالآية محمولة على المؤمنين منهم؛ وهو كقوله تعالى: {قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا} [الحجرات: 14] وإنما قال فريق منهم. ذكره الضحاك والكلبي والفراء والقتبي. وفي قراءة عبدالله: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ من المؤمنين إلا ليعبدون}"[52].

الرأي المعمم فنقله عن أصحابه قائلا: "وقال علي رضي الله عنه: أي وما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم بالعبادة. واعتمد الزجاج على هذا القول، ويدل عليه قوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً} [التوبة: 31]. فإن قيل: كيف كفروا وقد خلقهم للإقرار بربوبيته والتذلل لأمره ومشيئته؟ قيل تذللوا لقضائه عليهم؛ لأن قضاءه جار عليهم لا يقدرون على الامتناع منه، وإنما خالفهم من كفر في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضامه فإنه غير ممتنع منه. وقيل: { إلا ليعبدون} أي إلا ليقروا لي بالعبادة طوعا أو كرها؛ رواه علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس. فالكره ما يرى فيهم من أثر الصنعة. مجاهد: إلا ليعرفوني، الثعلبي: وهذا قول حسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [الزخرف: 87] {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [الزخرف: 9] وما أشبه هذا من الآيات. وعن مجاهد أيضا: إلا لآمرهم وأنهاهم. زيد بن أسلم: هو ما جبلوا عليه من الشقوة والسعادة؛ فخلق السعداء من الجن والإنس للعبادة، وخلق الأشقياء منهم للمعصية. وعن الكلبي أيضا: إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء؛ يدل عليه قوله تعالى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [لقمان: 32] الآية. وقال عكرمة: إلا ليعبدون ويطيعون فأثيب العابد وأعاقب الجاحد. وقيل: المعنى إلا لأستعبدهم. والمعنى متقارب؛ تقول: عبد بين العبودة والعبودية، وأصل العبودية الخضوع والذل. والتعبيد التذليل؛ يقال: طريق معبد. قال: وظيفا وظيفا فوق مور معبد، والتعبيد الاستعباد وهو أن يتخذه عبدا. وكذلك الاعتباد. والعبادة الطاعة، والتعبد التنسك. فمعنى {لِيَعْبُدُونِ} ليذلوا ويخضعوا ويعبدوا"[53].

فيبدو في آخر النص من قول القرطبي: " فمعنى {لِيَعْبُدُونِ} ليذلوا ويخضعوا ويعبدوا" أنه رجح الرأي المعمم للآية.

**خامساً: التفسير الإشاري**

**1. تفسير (لطائف الإشارات) للقشيري (المتوفى: 465هـ):**

اكتفى القشيري بتفسير الآية على المعنى الخاص وأنها متعلقة بالمؤمنين، ولم ينقل اراء العلماء في تفسيرها فقال: "الذين اصطفيتهم في آزالى، وخصصتهم- اليوم- بحسن إقبالى، ووعدتهم جزيل أفضالى- ما خلقتهم إلا ليعبدون. والذين سخطت عليهم في آزالى، وربطتهم- اليوم- بالخذلان فيما كلّفتهم من أعمالى، وخلقت النار لهم- بحكم إلهيتى ووجوب حكمى في سلطانى- ما خلقتهم إلا لعذابى وأنكالى، وما أعددت لهم من سلاسلى وأغلالى"[54].

**2. تفسير (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) للآلوسي(المتوفى: 1270هـ):**

قبل أن يتطرق الالوسي للتفسير الإشاري ذكر معنى العبادة وأن الآية هنا خاصة بالمؤمنين الذين يعبدون الله باختيارهم، قال: "والعبادة غاية التذلل، والظاهر أن المراد بها ما كانت بالاختيار دون التي بالتسخير الثابتة لجميع المخلوقات، وهي الدلالة المنبهة على كونها مخلوقة وأنها خلق فاعل حكيم، ويعبر عنها بالسجود كما في قوله تعالى: {والنجم والشجر يسجدان} و(أل) في الجن والأنس على المشهور للاستغراق.[55]"

لكنه نقل الرأي الثاني المعمم للآية بمعنى استعداد الجن والانس للعبادة سواء عبدوا الله ام لم يعبدوه قال: "واللام قيل: للغاية والعبادة وإن لم تكن غاية مطلوبة من الخلق لقيام الدليل على أنه عز وجل لم يخلق الجن والإنس لأجلها أي لإرادتها منهم؛ إذ لو أرادها سبحانه منهم لم يختلف ذلك لاستلزام الإرادة الإلهية للمراد كما بين في الأصول، مع أن التخلف محقق بالمشاهدة، وأيضا ظاهر قوله تعالى: {ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس} يدل على إرادة المعاصي من الكثير ليستحقوا بهم جهنم فينافي إرادة العبادة! لكن لما كان خلقهم على حالة صالحة للعبادة مستعدة لها حيث ركب سبحانه فيهم عقولا، وجعل لهم حواس ظاهرة وباطنة إلى غير ذلك من وجوه الاستعداد جعل خلقهم مغنيا بها مبالغة بتشديد المعد الشيء بالغاية، ومثله شائع في العرف ألا تراهم يقولون للقوي جسمه: للمصارعة، وللبقر: هي مخلوقة للحرث، وفي الكشف أن أفعاله تعالى تنساق إلى الغايات الكمالية، واللام فيها موضوعها ذلك، وأما الإرادة فليست مقتضى اللام إلا إذا علم أن الباعث مطلوب في نفسه، وعلى هذا لا يحتاج إلى تأويل فإنهم خلقوا بحيث يتأتى منهم العبادة وهدوا إليه، وجعلت تلك غاية كمالية لخلقهم، وتعوق بعضهم عن الوصول إليها لا يمنع كون الغاية غاية، وهذا معنى مكشوف. انتهى. فتأمل"[56].

فليست اللام على هذا المعنى بمعنى التعليل بالغرض وانما بمعنى بيان الغايات الكمالية للإنسان لا الباعث المكمل للفاعل سبحانه.

ثم نقل الالوسي بقية الاقوال المعممة لهذه الآية وقد استبعد بعضها لضعفها كما يرى فقال: "وقيل: المراد بالعبادة التذلل والخضوع بالتسخير، وظاهر أن الكل عابدون إياه تعالى بذلك المعنى لا فرق بين مؤمن وكافر وبر وفاجر ونحو ما قيل: المعنى ما خلقت الجن والإنس إلا ليذولوا لقضائي، وقيل: المعنى ما خلقتهم إلا ليكونوا عبادا لي، ويراد بالعبد العبد بالإيجاب، وعموم الوصف عليه ظاهر لقوله تعالى: {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا} لكن قيل عليه: إن عبد بمعنى صار عبدا ليس من اللغة في شيء، وقيل: العبادة بمعنى التوحيد بناءا على ما روي عن ابن عباس أن كل عبادة في القرآن فهو توحيد، فالكل يوحدونه تعالى في الآخرة؛ أما توحيد المؤمن في الدنيا هناك فظاهر، وأما توحيد المشرك فيدل عليه قوله تعالى: {ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين}، وعليه قول من قال: لا يدخل النار كافر، أو المراد كما قال الكلبي: إن المؤمن يوحده في الشدة والرخاء والكافر يوحده سبحانه في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، كما قال عز وجل: {فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين}، ولا يخفى بعد ذلك عن الظاهر والسياق، ونقل عن علي كرم الله تعالى وجهه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ما خلقتهم إلا لآمرهم وأدعوهم للعبادة، فهو كقوله تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله} فذكر العبادة المسببة شرعا عن الأمر أو اللازمة له وأريد سببها أو ملزومها مجاز، وأنت تعلم أن أمر كل من أفراد الجن وكل من أفراد الإنس غير متحقق لا سيما إذا كان غير المكلفين كالأطفال الذين يموتون قبل زمان التكليف داخلين في العموم، وقال مجاهد: إن معنى ليعبدون ليعرفون، وهو مجاز مرسل أيضا من إطلاق اسم السبب على المسبب على ما في الإرشاد، ولعل السر فيه التنبيه أن المعتبر هو المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة، قيل: وهو حسن لأنهم لو لم يخلقهم عز وجل لم يعرف وجوده وتوحيده سبحانه وتعالى، وقد جاء: [كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف] وتعقب بأن المعرفة الصحيحة لم تتحقق في كل بل بعض قد أنكر وجوده عز وجل كالطبيعيين اليوم، فلا بد من القول السابق في توجيه التعليل"[57]

وقد علق الالوسي على الاستدلال بهذا الخبر من حيث عدم قبول العلماء له اذ قال: "ثم الخبر بهذا اللفظ ذكره سعد الدين سعيد الفرغاني في منتهى المدارك، وذكر غيره كالشيخ الأكبر في الباب المائة والثامنية والتسعين من الفتوحات بلفظ آخر، وتعقبه الحفاظ فقال ابن تيمية: إنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وكذا قال الزركشي والحافظ ابن حجر وغيرهما: ومن يرويه من الصوفية معترف بعدم ثبوته نقلا، لكن يقول: إنه ثابت كشفا، وقد نص على ذلك الشيخ الأكبر قدس سره في الباب المذكور، والتصحيح الكشفي شنشنة لهم، ومع ذلك فيه إشكال معنى، إلا أنه أجيب عنه ثلاث أجوبة ستأتي إن شاء الله تعالى.[58]"

ثم نقل الرأي القائل بتخصيص الآية بالمؤمنين فقال: "وقيل: (أل) في الجن والإنس للعهد، والمراد بهم المؤمنون، لقوله تعالى:

{ولقد ذرأنا} الآية، أي بناءً على أن اللام فيها ليست للعاقبة، ونسب هذا القول لزيد بن أسلم وسفيان وأيد بقوله تعالى قبل: {فإن الذكرى تنفع المؤمنين} وأيده في البحر برواية ابن عباس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم {وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين} ورواها بعضهم قراءة لابن عباس رضي الله عنهما، ومن الناس من جعلها للجنس؛ وقال يكفي في ثبوت الحكم له ثبوته لبعض أفراده، وهو هنا المؤمنون الطائعون، وهو في المآل متحد سابقه ولا إشكال على ذلك في جعل اللام للغاية المطلوبة حقيقة، وكذا في جعلها للغرض عند من يجوز تعليل أفعاله تعالى بالأغراض، مع بقاء الغنى الذاتي وعدم الاستكمال بالغير، كما ذهب إليه كثير من السلف والمحدثين، وقد سمعت أن منهم من يقسم الإرادة إلى شرعية تتعلق بالطاعات، وتكوينية تتعلق بالمعاصي وغيرها، وعليه يجوز أن يبقى الجن والإنس على شمولها للعاصين، ويقال: إن العبادة مرادة منهم أيضا لكن بالارادة الشرعية، إلا أنه لا يتم إلا إذا كانت هذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد كالإرادة التفويضية القائل بها المعتزلة.[59]"

ثم ذكر الالوسي عدم المنافاة بين هذه الآية وآية {ولا يزالون مختلفين...} فقال: "هذا وإذا أحطت خبرا بالأقوال في تفسير هذه الآية هان عليك دفع ما يتراءى من المنافاة بينها وبين قوله تعالى: {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم} على تقدير كون الإشارة إلى الاختلاف بالتزام بعض هاتيك الأقوال فيها، ودفعه بعضهم بكون اللام في تلك الآية للعاقبة، والذي ينساق إلى الذهن أن الحصر إضافي أي خلقتهم للعبادة دون ضدها، أو دون طلب الرزق والإطعام على ما يشير إليه كلام بعضهم، أخذا من تعقيب ذلك بقوله سبحانه: {مآ أريد منهم من رزق ومآ أريد أن يطعمون}"[60]

أما التفسير الاشاري للآلوسي لهذه الآية ففيه نقل لرأي أهل الإشارة فيه اختيار للقول بعموم الآية لتشمل جميع الجن والانس من حيث معرفتهم بالله تعالى؛ قال الالوسي: "ومما قاله بعض أهل الإشارة في بعض الآيات:.... {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} أي ليعرفون، وهو عندهم إشارة إلى ما صححوه كشفا من روايته صلى الله عليه وسلم عن ربه سبحانه أنه قال: [كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف] وفي كتاب الأنوار السنية للسيد نور الدين السمهودي بلفظ [كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت هذا الخلق ليعرفوني فبي عرفوني] وفي المقاصد الحسنة للسخاوي بلفظ [كنت كنزا لا أعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فعرفوني] إلى غير ذلك.[61]"

وقد أشار الالوسي الى وجود إشكال في فهم الخفاء المذكور في الخبر، لكنه أجاب عنه بثلاثة اجابات فيها مصطلحات صوفية عميقة وغامضة، اذ قال: "وهو مشكل؛ لأن الخفاء أمر نسبي فلا بد فيه من مخفي ومخفي عنه، فحيث لم يكن خلق لم يكن مخفي عنه، فلا يتحقق الخفاء، وأجيب أولا: بأن الخفاء عن الأعيان الثابتة لأن الأشياء في ثبوتها لا إدراك لها وجوديا، فكان الله سبحانه مخفيا عنها معروف لها معرفة وجودية، فأحب أن يعرف معرفة حادثة من موجود حادث فخلق الخلق؛ لأن معرفته الوجودية فرع وجودهم، فتعرف سبحانه إليهم بأنواع التجليات على حسب تفاوت الاستعدادات فعرفوا أنفسهم بالجليات فعرفوا الله تعالى من ذلك، فبه سبحانه عرفوه، وثانيا: بأن المراد بالخفاء لازمه، وهو عدم معرفة أحد به جل وعلا، ويؤيده ما في لفظ السخاوي من قوله: [لا أعرف] بدل [مخفيا]، وثالثا: مخفيا بمعنى ظاهرا، من: أخفاه: أي أظهره، على أن الهمزة للإزالة؛ أي أزال خفاءه، وترتيب قوله سبحانه: فأحببت أن أعرف الخ عليه باعتبار أن الظهور متى كان قويا أوجب الجهالة بحال الظاهر، فخلق سبحانه الخلق ليكونوا كالحجاب فيتمكن معه من المعرفة، ألا يرى أن الشمس لشدة ظهورها لا تستطيع أكثر الأبصار الوقوف على حالها إلا بواسطة وضع بعض الحجب بينها وبينها، وهو كما ترى لا يخلو عن بحث.[62]"

وقوله:" وهو كما ترى لا يخلو عن بحث" دلالة على انه لا يسلم بهذه التوجيهات لهذا الخبر، اذ انه ذكر سابقا رد بعض العلماء لهذا الخبر لأنه لم يثبت سندا.

وبالجملة نرى ان التفسير الاشاري لهذه الآية كان بتخصيصها بالمؤمنين عند القشيري والالوسي، الا ان الالوسي استرسل في بيان تفسير الصوفية للآية باعتمادهم على خبر[كنت كنزا مخفيا..] ليكون معنى الآية:[ليعرفون] ولتشمل الجن والانس معا.

## المبحث الثالث

## تفسير الآية في مدرسة التفسير في العصر الحديث

### 1. تفسير (محاسن التأويل) للقاسمي (المتوفى: 1332هـ):

قال القاسمي مختصرا الكلام في تفسير هذه الآية: "أي لهذه الحكمة، وهي عبادته تعالى، بما أمر على لسان رسوله، إذ لا يتم صلاح، ولا تنال سعادة في الدارين، إلا بها"[63]. فلم يذكر الاراء في تفسير هذه الآية، ولم يتطرق الى مسألة تعليل افعال الله، بل اهتم بذكر ان الحكمة هي عبادة الله تعالى فقط دون تفاصيل في تفسير الآية. وعلى على هذا التعميم تكون الآية عامة وشاملة

للجن والانس جميعا.

**2. تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب (المتوفى: 1385هـ):**

استهل سيد قطب تفسير سورة الذاريات بربط آية {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} في اخر السورة بأول السورة اذ قال: "هذه السورة: بافتتاحها على هذا النحو، ثم بسياقها كله، تستهدف أمرا واضحا في سياقها كله.. ربط القلب البشري بالسماء وتعليقه بغيب الله المكنون وتخليصه من أوهاق الأرض، وإطلاقه من كل عائق يحول بينه وبين التجرد لعبادة الله، والانطلاق إليه جملة، والفرار إليه كلية، استجابة لقوله في السورة: «فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ».. وتحقيقا لإرادته في عباده: «وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنس إلا ليعبدون»"(64)

ثم قال: "فالقصص في السورة– على هذا النحو– مرتبط بموضوعها الأصيل. وهو تجريد القلب لعبادة الله، وتخليصه من جميع العوائق، ووصله بالسماء. بالإيمان أولا واليقين. ثم برفع الحواجز والشواغل دون الرفرفة والانطلاق إلى ذلك الأفق الكريم، وفي هذا كان الإيقاع الأخير البارز في السورة، عن إرادة الله سبحانه في خلق الجن والإنس، ووظيفتهما الرئيسية الأولى: «وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنس إلا ليعبدون.(65)"

"هنا يجيء الإيقاع الأخير في السورة. ويتضح معنى الفرار إلى الله، والتخلص من الأوهاق والأثقال، لأداء الوظيفة التي خلق الله العباد لها، ومنحهم وجودهم ليؤدوها: «وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنس إلا ليعبدون. ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ»..وإن هذا النص الصغير ليحتوي حقيقة ضخمة هائلة... وأول جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هنالك غاية معينة لوجود الجن والإنس. تتمثل في وظيفة من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل، الذي تستمد منه قيمتها الأولى. وقد انفلت من الناموس الذي خرج به إلى الوجود، وانتهى إلى الضياع المطلق، الذي يصيب كل كائن ينفلت من ناموس الوجود، الذي يربطه ويحفظه ويكفل له البقاء.(66)"

ثم يصرح بهذه الوظيفة للخلق ومعنى العبادة الواسع والشامل لكل ما يندرج تحته فيقول: "هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود. هي العبادة لله. أو هي العبودية لله.. أن يكون هناك عبد ورب. عبد يعبد، ورب يعبد. وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار. ومن ثم يبرز الجانب الآخر لتلك الحقيقة الضخمة، ويتبين أن مدلول العبادة لا بد أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر. فالجن والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة الشعائر والله لا يكلفهم هذا. وهو يكلفهم ألوانا أخرى من النشاط تستغرق معظم حياتهم. وقد لا نعرف نحن ألوان النشاط التي يكلفها الجن ولكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان. نعرفها من القرآن من قول الله تعالى: «وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ: إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً».. فهي الخلافة في الأرض إذن عمل هذا الكائن الإنساني. وهي تقتضي ألوانا من النشاط الحيوي في عمارة الأرض، والتعرف إلى قواها وطاقاتها، وذخائرها ومكنوناتها، وتحقق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها. كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام. ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى، أوسع وأشمل من مجرد الشعائر وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعا.(67)"

فحقيقة العبادة تتمثل في أمرين رئيسيْن كما بينهما سيد قطب وهما: "الأول: هو استقرار معنى العبودية لله في النفس. أي استقرار الشعور على أن هناك عبدا وربا....والثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة.. إلى الله خالصة، والتجرد من كل شعور آخر ومن كل معنى غير معنى التعبد لله"(68).

واسترسل سيد قطب في بيان فرار العبد الى ربه من كل ما يشغله عنه؛ لتكون عبادته لله خالصة ولا تتعلق الا بالتحقق بالعبودية لا غير؛ فهي مستمدة من بواعثها لا من نتائجها(69).

وبالجملة فإن سيد قطب ركز في تفسيره لهذه الآية الكريمة على كيفية التحقق بالعبادة في كل شيء في حركة الحياة كاملة، وليس في تنفيذ الشعائر فقط، وهو بذلك يعمم الآية لتشمل العباد جميعا الذين خلقوا لتحقيق وظيفة سامية لهم وهي التحقق بالعبودية. ولم يتطرق الى مسألة تعليل أفعال الله والخوض في تفاصيل الإرادة الإلهية اذ كان جل اهتمامه موجها الى توجيه القارئ الى ضرورة ممارسة العبادة في حياته كلها دون الخوض في مسائل نظرية لا طائل من بحثها والغوص فيها.

**3. تفسير (صفوة التفاسير) للصابوني(المتوفى: 1436هـ):**

اكتفى الصابوني باختيار تعميم الآية لتشمل الجن والانس معا، وذكر اقوالا موافقة لهذا الاختيار في تعميم المعنى اذ قال: "ثم

ذكر تعالى الغاية من خلق الخلق فقال {وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس إلا ليعبدون} أي وما خلقت الثقلين الإنس والجن إلا لعبادتي وتوحيدي، لا لطلب الدنيا والانهماك بها قال ابن عباس: { إلا ليعبدون} إلا ليقروا لي بالعبادة طوعاً أو كرهاً وقال مجاهد: إلا ليعرفوني[70]"

ولم يذكر الرأي المخصص للآية بالمؤمنين، ونلاحظ انه ذكر ان الآية تشير الى الغاية من خلق الخلق لكنه لم يوضح ما مقصوده في الغاية هل بمعنى الغرض _ والله سبحانه منزه عن الغرض والباعث لأفعاله_ ام بمعنى غايات كمالات الخلق.

**4. تفسير (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج) للزحيلي (المتوفى: 1436هـ):**

اختار الزحيلي تعميم الآية لتشمل الجن والانس معا وذلك بتفسيرها بأنها بمعنى لآمرهم بالعبادة سواء عبدوا الله ام لم يعبدوه فقال: "{ إلا ليعبدون}: إلا لنأمرهم بالعبادة ويعبدوا الله بالفعل لا لاحتياجي إليهم، فإن أعرض أو قصر بعضهم أو أكثرهم فعليه تبعة فعله. ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ.. لا أريد منهم الاستعانة بهم على تحصيل أرزاقهم ومعايشهم لأنفسهم أو غيرهم وهو أولى. وَما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ أن يطعموا أنفسهم أو غيرهم. والمراد بيان أن شأن الله مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم، فإنهم يملكونهم للاستخدام في حوائجهم الرَّزَّاقُ الذي يرزق كل محتاج، وفيه إيماء باستغنائه عن الرزق. الْمَتِينُ الشديد القوة"[71].

وبين الزحيلي ان الغاية من الخلق هي عبادة الله تعالى، ونقل تفسير الآية بأن ليعبدون اي ليعرفون او لآمرهم بالعبادة، قال: "ثم بيّن الله تعالى الغاية من خلق الثقلين: وهي العبادة، مع أن المشركين كذبوا الرسول، وتركوا عبادة الخالق، فقال: وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنس إلا ليعبدون أي ما خلقت الثقلين: الإنس والجن إلا للعبادة، ولمعرفتي، لا لاحتياجي إليهم كما قال تعالى: {وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً، لا إِلهَ إِلَّا هُوَ، سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة 9/ 31] وكما ورد: «كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف، فخلقت الخلق، فبي عرفوني». والعبادة في اللغة: الذل والخضوع والانقياد. وقال أهل السنة: إن العبادة المعرفة والإخلاص له في ذلك، فإن المعرفة أيضا غاية صحيحة. وقال مجاهد: المعنى إلا لآمرهم بعبادتي وأنهاهم. وهذا كلام جديد مستأنف لتقرير وتأكيد الأمر بالتذكر، فإن خلقهم للعبادة يستدعي دوام التذكير بها. وحكمة تقديم الجن على الإنس أن عبادتهم سرية لا يدخلها الرياء كعبادة الإنس".[72]

ولم يعلق الزحيلي على مدى صحة الأثر[كنت كنزا...]

"ثم ذكر الله تعالى سمو الغاية من الخلق، فقال: {ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ، وَما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} أي لا أريد من خلقهم جلب نفع لي، ولا دفع ضرر عني، كما تريده السادة عادة من عبيدهم، فإن الله هو الغني المعطي، الرزاق المعطي، الذي يرزق مخلوقاته، ويقوم بما يصلحهم، وهو ذو القدرة والقوة، والشديد القوة، فلم يخلقهم لنفع ينفعونه به، فعليهم أن يؤدوا ما خلقوا له من العبادة.[73]"

ثم خلص الزحيلي بتأكيد تعميم الآية لتشمل الجن والانس جميعا فقال: "والخلاصة: أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذّبه أشد العذاب، وهو غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم. روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: «يا ابن آدم، تفرّغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل، ملأت صدرك شغلا، ولم أسد فقرك». وورد في بعض الكتب الإلهية: يقول الله تعالى: «ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، فاطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء»"[74]

**5. تفسير: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم) لمحمد سيد طنطاوي:**

نقل الطنطاوي آراء العلماء في تفسير هذه الآية ثم رجح ما رآه الأقرب الى الصواب، فقال ناقلا الرأي الأول العام الذي يشمل الجن والانس جميعا: "وللعلماء في تفسير هذه الآية أقوال منها: أن معناها: إنى ما أوجدت الجن والإنس إلا وهم مهيئون لعبادتي وطاعتي. بسبب ما ركبت فيهم من عقول تعقل، وبسبب ما أرسلت إليهم من رسل يهدونهم إلى الخير، فمنهم من أطاع الرسل، وجرى على مقتضى ما تقتضيه الفطرة، فآمن بالرسل، واتبع الحق والرشد، ففاز وسعد، ومنهم من أعرض عن دعوة الرسل، وعاند فطرته وموجب استعداده فخسر وخاب. ومنهم من يرى أن معناها: إنى ما خلقت الجن والإنس إلا ليقروا لي بالعبودية طوعا أو كرها، لأن المؤمن يطيع باختياره، والكافر مذعن منقاد لقضاء ربه، كما في قوله- تعالى-: {ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها}. ومنهم من يرى معناها: إنى ما خلقت الجن والإنس إلا ليعرفونى. [75]".

ثم نقل الرأي المخصص للآية الكريمة فقال: "قال القرطبي ما ملخصه: قوله- تعالى-: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون قيل: إن هذا خاص فيمن سبق في علم الله أنه يعبده. فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص فالآية في المؤمنين منهم[76]."

ثم رجع فنقل ما يؤيد الرأي الأول المعمم للآية الكريمة فقال: "وقال على- رضى الله عنه-: أى: وما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم بعبادتي قال- تعالى- وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء. وقيل: إلا ليعبدون أى: إلا ليقروا لي بالعبادة طوعا أو كرها"[77].

ثم رجح الرأي المعمم الذي بدأ وانتهى بذكره فقال: "ويبدو لنا أن أرجح هذه الأقوال هو ما أشرنا إليه أولا، من أن معنى الآية الكريمة، أن الله- تعالى- قد خلق الثقلين لعبادته وطاعته، ولكن منهم من أطاعه- سبحانه-، ومنهم من عصاه. استحواذ الشيطان عليه. [78] "

واخذ الطنطاوي يؤيد ترجيحه بنقل قول ابن كثير وبعض ما روي من روايات تؤيد ذلك الرأي سواء حديث قدسي او بعض ما جاء في الكتب السابقة دون ان يوثق تلك الروايات وأن يتحقق من صحتها فقال: "قال الإمام ابن كثير بعد أن ذكر جملة من الأقوال: ومعنى الآية أنه- تعالى- خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب. وفي الحديث القدسي: قال الله- عز وجل- «يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا، ولم أسد فقرك... ».وفي بعض الكتب الإلهية. يقول الله- تعالى- «يا ابن آدم، خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، فاطلبنى تجدني. فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء».[79]".

## المبحث الرابع
## تحليل المناهج والآراء وأدلتُها في تفسير الآية

### المطلب الأول: تحليل مناهج المفسرين في تفسير الآية

إن النماذج المختارة في هذا البحث لِتعبر عن المدارس التفسيرية المتنوعة_ التي شملت عشرين مفسرا_ تظهر لنا نتائج عديدة تتعلق بتفسيرهم لقوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}، ومناهجهم في ذلك، ويمكن توضيح ذلك بالآتي:

1. أن لهذه الآية الكريمة تفسيرين: الأول: خصص الآية بأنها تتعلق بالمؤمنين المطيعين خاصة، وليست متعلقة بالخلق جميعا، أما الثاني: فقد عمم الآية لتشمل الخلق جميعا.
2. ان المفسرين الذين قالوا بتعميم الآية الكريمة لتشمل الجن والانس جميعا هم: الطبري والبغوي وابن عطية وابن كثير والرازي والبيضاوي والبقاعي والشربيني وابن المنير والزمخشري وأبو السعود ودرويش والقرطبي والقاسمي وسيد قطب والصابوني والزحيلي. أما من خصصها بالمؤمنين الطائعين فهم: أبو حيان والقشري والآلوسي. أي ان أغلبية المفسرين _ضمن النماذج المدروسة هنا_ يعممون الآية لتشمل الجن والإنس جميعا.
3. أن معظم الاراء تؤكد على ان الخلق خلقوا لهذه الحكمة، وهي عبادته تعالى، بما أمر على لسان رسوله، إذ لا يتم صلاح، ولا تنال سعادة في الدارين إلا بها، فهم مخلوقون لتحقيق الوظيفة الأولى التي خلق الله الجن والإنس لها، وبالجملة فإن أغلب المفسرين في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة سلطوا الضوء على ضرورة التحقق بالعبادة دون التطرق الى مسألة تعليل أفعال الله والخوض في تفاصيل الارادة الالهية، اذ كان جل اهتمامهم موجها الى توجيه القارئ الى ضرورة ممارسة العبادة في حياتهم كلها دون الخوض في مسائل نظرية لا طائل من بحثها والغوص فيها.
4. تنوعت مناهج المفسرين في تناولهم لهذه الآية الكريمة فبعضهم اكتفى بذكر معنى يراه مناسبا دون نقل بقية الاراء، ومعظمهم نقلوا الاراء وبعض الادلة على تلك الاراء ورجحو ما رأوه مناسبا، سواء بالاستدلال على صحة ما رجحوه او بالاكتفاء بالترجيح دون استدلال، وقد تنوعت الادلة بين روايات وآثار بعضها صحيح وبعضها غير ثابت، وبين أدلة لغوية وعقلية، وبعض المفسرين وهم قلة قليلة تناولوا الموضوع بربطه بمسألة تعليل أفعال الله والرد على المعتزلة والتطرق لمسألة الارادة الالهية وتعلقها بأفعال العباد.
5. نلاحظ من خلال النماذج المذكورة من مدرسة التفسير بالمأثور أن مناهج المفسرين في هذه المدرسة تظهر في اعتماد أصحابها على الروايات المنقولة عن السلف في تفسير الآية الكريمة، وأنها شملت الرأيين المعمم للآية والمخصص لها، وأن بعض المفسرين في هذه المدرسة اكتفى بالنقل للآراء دون ترجيح، وبعضهم رجح الرأي الذي اختاره ونقل بقية الآراء، ومنهم من ذكر أدلةً على كل رأي، ومنهم من لم يذكرها.
6. نلاحظ من خلال النماذج المذكورة من مدرسة التفسير بالرأي ظهور الآراء التفصيلية بنقل الرأيين المعمم والمخصص، وإبداء

الرأي في المنقول، والإشارة إلى وجود خلاف في مسائل عقدية متعلقة بالآية بين مدارس عقدية، وذلك من خلال الاسترسال عند البعض في بيان ما يتعلق بتعليل أفعال الله والتطرق الى المعتزلة والرد عليهم، وذكر مسألة الإرادة الإلهية وأقسامها وعلاقتها بالآية الكريمة.

7. نلاحظ من خلال النماذج المذكورة من مدرسة التفسير الحديث أن بعضهم كان منهجهم الاختصار الشديد في تفسير الآية، والبعض الآخر كان يسترسل كثيرا في ذكر بيان العبادة التي يجب أن يتحقق بها العباد، دون التطرق للمسائل العقدية المتعلقة بتعليل افعال الله تعالى واقسام الارادة الالهية ونحو ذلك.
8. غالبا ما يعزو المفسرون الأقوال إلى أصحابها، ويندر نقل آراء دون نسبتها إلى أصحابها، وغالبا ما يستخدم تعبير: (وقيل) للدلالة على ضعف الرأي المنقول وعدم ترجيح المفسر له.
9. أن الغالب على مناهج المفسرين وخاصة في العصر الحديث في تناولهم لتفسير هذه الآية الكريمة الاهتمام بتنبيه العبد إلى وظيفته التي خلق لها للتحقق بالعبودية دون الخوض كثيرا في مسائل نظرية لا تنفعه في علاقته مع ربه سبحانه وتعالى.

**المطلب الثاني: خلاصة الآراء وأدلتها وتوجيه تعليل الخلق في تفسير الآية**

**أولا: الرأي المخصص للآية الكريمة:**

**1. المعاني التي شملها هذا الرأي:**

وهو الرأي المخصص للآية بجعلها خاصة بالمؤمنين ممن عبدوا الله تعالى، وانها بمعنى: وما خلقت السُعداء من الجنّ والإنس إلا لعبادتي او الا ليوحدون، والأشقياء منهم لمعصيتي.

وانها بمعنى: أي ما جبلوا عليه من الشقاء والسعادة. اي مَن خلق للعبادة.

وأن هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين.

وأن المراد به الخصوص، اي وما خلقت الجنّ والإنس **المؤمنين**، وقيل: الطائعين بمعنى: وَما خَلَقْتُ **الطائعين** من الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إلا لعبادتي.

وأن هذا خاص فيمن سبق في علم الله أنه يعبده، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص.

**2. أدلة الرأي المخصص للآية:**

استدل أصحاب هذا الرأي بعدة أدلة منها: قراءة ابن عباس: "وما خلقت الجن والإنس –من المؤمنين – إلا ليعبدون ".

واستدلوا بقوله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ} [الأعراف: 179] قالوا: ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة، فالآية محمولة على المؤمنين منهم؛ وهو كقوله تعالى: {قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا} [الحجرات: 14] وإنما قال فريق منهم.

سواء كانت (أل) في الجن والإنس للعهد، والمراد بهم المؤمنون، لقوله تعالى: {ولقد ذرأنا} الآية، أي بناءا على أن اللام فيها ليست للعاقبة. واستدلوا ايضا بقوله تعالى قبل: {فإن الذكرى تنفع المؤمنين}

او ان تكون (أل) للجنس؛ إذ يكفي في ثبوت الحكم له ثبوته لبعض أفراده، وهو هنا المؤمنون الطائعون.

واستدلوا كذلك على أن الآية دخلها التخصيص على القطع؛ لأن المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة حتى يقال أراد منهم العبادة.

**ثانيا: الرأي المعمم للآية الكريمة**

**1. المعاني التي شملها هذا الرأي:**

وهو المعمم للآية لتشمل الجن والانس جميعا؛ وقد نقل العلماء عدة أقوال في تفسير هذه الآية الكريمة بتعميمها وهي:

منها ما نقل عن ابن عباس: (إلا ليقروا بالعبودة طوعا وكَرها) اي: "ما خلقت الجنّ والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا". وقال ابن عباس أيضا معنى: لِيَعْبُدُونِ أي ليتذللوا لي ولقدرتي، وإن لم يكن ذلك على قوانين الشرع. اي بمعنى: إلا ليخضعوا إليّ ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، متذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجًا عما خلق عليه.

ومنها: إلا للعبادة وهو ظاهر اللفظ.

ومنها: إلا ليذعنوا لي بالعبودة.

ومنها: لأحملهم في العبادة على الشقاوة والسعادة.

ومنها: ليطيعون، فأثيب العابد، وأعاقب الجاحد.
ومنها: إلا للأمر والنهي، اي: لآمرهم أن يعبدوني.
ومنها: إلا لأدعوهم إلى عبادتي.
ومنها: إلا ليعرفون أو ليعرفوني.
ومنها: إلا ليوحدوني، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأمّا الكافر فيوحد اضطراراً في الشدّة والبلاء دون النعمة والرخاء.
ومنها: ليقروا لي بالعبودية أي: إلا ليقروا بعبادتي طوعا أو كرها.
ومنها: لما خلقهم على صورة متوجهة إلى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة ذلك.
ومنها: ليكونوا عباداً لي.
ومنها: إلا ليذلوا وينقادوا لقضائي، فالمؤمن يفعل ذلك طوعاً والكافر يفعل ذلك كرهاً، وهو بمعنى: لينجروا تحت أقضيتي على وجه ينفعون به أنفسهم أو يضرونها، لا لشيء يلحقني أنا منه شيء من نفع أو ضرر، فإني بنيتهم على العجز وأودعتهم نوازع الهوى، وركبت فيهم غرائز فهيأتهم لاتباع الهدى، فمن أطاع عقله كان عابداً لي، مع جريه تحت الإرادة، عبادة شرعية أمرية يستفيد بها الثواب، ومن أطاع الهوى كان عابداً لي، مع مخالفته أمري، عبادة إرادية قسرية يستحق بها العقاب.
ومنها: إلا معدين ليعبدون. اي:خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها أتم استعداد، وأكمل تمكن، مع كونها مطلوبة منهم، بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له.

**2. أدلة الرأي المعمم للآية:**

- إلا ليخضعوا إليّ ويتذللوا: دليله: روايات نقلت عن ابن عباس: (إلا ليقروا بالعبودة طوعا وكرها). وقوله أيضا: لِيَعْبُدُونِ أي ليتذللوا لي ولقدرتي، وإن لم يكن ذلك على قوانين الشرع. ويدل عليه ايضا ان معنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، متذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجًا عما خلق عليه وهذا مشاهد ولا يمكن انكاره.
- لآمرهم: يؤيده قوله عز وجل: "وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا".(التوبة–31). إذ العبادة هي مضمن الأمر، وقد رده البعض بالقول: وأنت تعلم أن أمر كل من أفراد الجن وكل من أفراد الإنس غير متحقق، لا سيما إذا كان غير المكلفين كالأطفال الذين يموتون قبل زمان التكليف داخلين في العموم.
- ليعرفون/ ليعرفوني: دليله: لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده، وبدليل قوله تعالى: {ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله} (الزخرف87) واستدلوا كذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن ربه: [كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني]، ورده البعض بالقول: وتعقب بأن المعرفة الصحيحة لم تتحقق في كلٍّ، بل بعض قد أنكر وجوده عز وجل كالطبيعيين اليوم، وبأن أثر(كنت كنزا مخفيا..) لم تثبت صحته أصلا.
- ليوحدون: فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأمّا الكافر فيوحد اضطراراً في الشدّة والبلاء دون النعمة والرخاء. ودليله: قوله عز وجل: "فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين".(العنكبوت–65) ورده البعض بالقول: ولا يخفى بعد ذلك عن الظاهر والسياق.
- ليتذللوا: بدليل أننا تراهم عند القحط والأمراض وغير ذلك يتذللون لله تعالى.
- للعبادة: فالكل عابد لله، لكن من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [ لقمان: 25 ] هذا منهم عبادة، وليس ينفعهم مع الشرك.
- معدين ليعبدون: ودليله السياق: كأن الآية تعديد نعمه؛ أي خلقت لهم حواس وعقولا وأجساما منقادة نحو العبادة، ويدل عليه استخدامات اللغة العربية للام بهذا النحو؛ وهذا كما تقول: هذا مخلوق لكذا وإن لم يصدر منه الذي خلق له، كما تقول: القلم مبري لأن يكتب به، وهو قد يكتب به وقد لا يكتب به، ومثله شائع في العرف ألا تراهم يقولون للقوي جسمه: للمصارعة، وللبقر: هي مخلوقة للحرث، والخيل للحرب، وقد يكون منها ما لا يحارب به أصلا، فالمعنى أن الإعداد في خلق هؤلاء إنما هو للعبادة، واستدلوا على ذلك كذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له». وقوله: «كل مولود يولد على الفطرة] اي هذا الاستعداد للعبادة.

وبالجملة ومن خلال تحليل تلك الآرآء في تفسير المفسرين لقوله تعالى {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} نرى أثر تلك الآراء بأن القول بتخصيص الآية بالمؤمنين فقط لا يسبب إشكالية في فهم هذه الآية، اما القول بتعميمها لتشمل الجن والانس

جميعا فيسبب إشكالية في فهم الآية؛ لما هو مشاهد من عدم عبادة الكل لله تعالى، وقد دفع المفسرون هذه الإشكالية بعدة توجيهات كما تبين لنا.

**ثالثا: توجيه تعليل الخلق في هذه الآية الكريمة:**

تمسكت المعتزلة بمثل هذه الايات وقالوا أفعال الله تعالى معللة لأغراض وبالغوا في الإنكار على منكري ذلك، ولكن فعل الله تعالى ليس لغرض وإلا لكان بالغرض مستكملا وهو في نفسه كامل، وقد كان للمفسرين عدة توجيهات للام في قوله تعالى (ليعبدون) فيها الرد على المعتزلة هي:

–ان اللام هنا للغاية والعبادة، وإن لم تكن غاية مطلوبة من الخلق لقيام الدليل على أنه عز وجل لم يخلق الجن والإنس لأجلها أي لإرادتها منهم؛ إذ لو أرادها سبحانه منهم لم يختلف ذلك لاستلزام الإرادة الإلهية للمراد، مع أن التخلف محقق بالمشاهدة، وأيضا ظاهر قوله تعالى: {ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس} يدل على إرادة المعاصي من الكثير ليستحقوا بهم جهنم فينافي إرادة العبادة! لكن لما كان خلقهم على حالة صالحة للعبادة مستعدة لها حيث ركب سبحانه فيهم عقولا، وجعل لهم حواس ظاهرة وباطنة إلى غير ذلك من وجوه الاستعداد جعل خلقهم مغنيا بها مبالغة بتشديد المعد الشيء بالغ آية، فأفعاله تعالى تنساق إلى الغايات الكمالية واللام فيها موضوعها ذلك، وأما الإرادة فليست مقتضى اللام إلا إذا علم أن الباعث مطلوب في نفسه، وعلى هذا لا يحتاج إلى تأويل فإنهم خلقوا بحيث يتأتى منهم العبادة وهدوا إليه، وجعلت تلك غاية كمالية لخلقهم، وتعوق بعضهم عن الوصول إليها لا يمنع كون الغاية غاية.

– وأنه لا إشكال على ذلك في جعل اللام للغاية المطلوبة حقيقة، وكذا في جعلها للغرض عند من يجوز تعليل أفعاله تعالى بالأغراض، مع بقاء الغنى الذاتي وعدم الاستكمال بالغير.

– أن التعليل لفظي ومعنوي، واللفظي ما يطلق الناظر إليه اللفظ عليه وإن لم يكن له في الحقيقة، مثاله إذا خرج ملك من بلاده ودخل بلاد العدو وكان في قلبه أن يتعب عسكر نفسه لا غير، ففي المعنى المقصود ذلك، وفي اللفظ لا يصح ولو قال هو أنا ما سافرت إلا لابتغاء أجر أو لأستفيد حسنة يقال: هذا ليس بشيء ولا يصح عليه، ولو قال قائل في مثل هذه الصورة خرج ليأخذ بلاد العدو وليرهبه لصدق، فالتعليل اللفظي هو جعل المنفعة المعتبرة علة للفعل الذي فيه المنفعة، يقال اتجر للربح، وإن لم يكن في الحقيقة له، إذا عرفت هذا، فنقول الحقائق غير معلومة عند الناس، والمفهوم من النصوص معانيها اللفظية لكن الشيء إذا كان فيه منفعة يصح التعليل بها لفظا والنزاع في الحقيقة في اللفظ.

– والذي يدل على عدم جواز التعليل الحقيقي هو أن الله تعالى مستغن عن المنافع فلا يكون فعله لمنفعة راجعة إليه ولا إلى غيره، لأن الله تعالى قادر على إيصال المنفعة إلى الغير من غير واسطة العمل فيكون توسط ذلك لا ليكون علة، وإذا لزم القول بأن الله تعالى يفعل فعلا هو لمتوسط لا لعلة لزمهم المسألة، وأما النصوص فأكثر من أن تعد وهي على أنواع، منها ما يدل على أن الإضلال بفعل الله كقوله تعالى: {يضل من يشاء} [الرعد: 27] وأمثاله، ومنها ما يدل على أن الأشياء كلها بخلق الله كقوله تعالى: {خالق كل شيء} [الرعد: 16] ومنها الصرائح التي تدل على عدم ذلك، كقوله تعالى: {لا يسئل عما يفعل} [الأنبياء: 23] وقوله تعالى: {ويفعل الله ما يشاء} [إبراهيم: 27] {يحكم ما يريد} [المائدة: 1]

– لا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأنّ الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك بريت هذا القلم لأكتب به فإنك قد لا تكتب به هكذا قال الجلال المحلي، وأوضح منه ما قاله ابن عادل: إنّ المعنى إلا معدّين للعبادة؛ ثم منهم من يتأتى منه ذلك ومنهم من لا، كقولك: هذا القلم بريته للكتابة؛ ثم قد لا تكتب به وقد تكتب.

– أن ذلك تقدير كالتمني والترجي في كلام الله تعالى، وكأنه يقول العبادة عند الخلق شيء لو كان ذلك من أفعالكم لقلتم إنه لها، كما قلنا في قوله تعالى: لعله يتذكر [طه: 44] أي بحيث يصير تذكرة عندكم مرجوا وقوله [عسى ربكم أن يهلك عدوكم] [الأعراف: 129] أي يصير إهلاكه عندكم مرجوا تقولون إنه قرب.

– أنّ اللام قد ثبتت لغير الغرض بل للاقتران، فاللام قد تثبت فيما لا يصح غرضا كما في الوقت قال تعالى: {أقم الصلاة لدلوك الشمس} [الإسراء: 78] وقوله تعالى: {فطلقوهن لعدتهن} [الطلاق: 1] والمراد المقارنة، وكذلك في جميع الصور، وحينئذ يكون معناه: قرنت الخلق بالعبادة؛ أي بفرض العبادة أي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة.

– أنها بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له، فإن استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا، وإنما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض، بمعنى الباعث على الفعل، بحيث لولاه لم يفعله لإفضائه إلى استكماله بفعله، وهو الكامل بالفعل من كل وجه، وأما بمعنى نهاية كمالية يفضي إليها فعل الفاعل الحق فغير منفي

من أفعاله تعالى، بل كلها جارية على المنهاج، وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة، ويكفى في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه أهل اللغة هذا المقدار، وبه يتحقق مدلول اللام، وأما إرادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الإرادة؛ فإن تعوق البعض عن الوصول إلى الغاية مع تعاضد المبادئ وتآخذ المقدمات الموصلة إليها لا يمنع كونها غاية، كما في قوله تعالى: {كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور}، ونظائره.

فليست اللام على هذا المعنى بمعنى التعليل بالغرض وانما بمعنى بيان الغايات الكمالية للإنسان لا الباعث المكمل للفاعل سبحانه.

هذه خلاصة الآراء للمفسرين ومنهاجهم في تناولهم لتفسير قوله تعالى {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} والله الموفق.

**الخاتمة:**

1. إن لهذه الآية الكريمة تفسيرين: الأول: خصص الآية بأنها تتعلق بالمؤمنين فقط، أما الثاني: فقد عمم الآية لتشمل الجن والإنس جميعا. وإن القول بتخصيص الآية بالمؤمنين فقط لا يسبب إشكالا في فهم هذه الآية، اما القول بتعميمها لتشمل الجن والانس جميعا فيسبب إشكالا في فهم الآية لما هو مشاهد من عدم عبادة الكل لله تعالى، وقد دفع المفسرون هذه الإشكالية بعدة توجيهات.
2. ان أغلبية المفسرين _ضمن النماذج المدروسة هنا_ يعممون الآية لتشمل الجن والانس جميعا.
3. أن معظم الآراء تؤكد أن الخلق خلقوا لحكمة وهي عبادته تعالى، فهم مخلوقون لتحقيق الوظيفة الأولى التي خلق الله الجن والإنس لها، فليست اللام في قوله تعالى:{ليعبدون}على هذا بمعنى التعليل بالغرض، وانما بمعنى بيان الغايات الكمالية للإنسان، لا الباعث المكمل للفاعل سبحانه.
4. تنوعت مناهج المفسرين في تناولهم لهذه الآية الكريمة فبعضهم اكتفى بذكر معنى يراه مناسبا دون نقل بقية الآراء، ومعظمهم نقلوا الآراء وبعض الأدلة على تلك الآراء ورجحوا ما رأوه مناسبا، سواء بالاستدلال على صحة ما رجحوه أم بالاكتفاء بالترجيح دون استدلال، وقد تنوعت الأدلة على كل رأي: بين روايات وآثار بعضها صحيح وبعضها غير ثابت، وبين أدلة لغوية وعقلية، وبعض المفسرين وهم قلة قليلة تناولوا الموضوع بربطه بمسألة تعليل أفعال الله والرد على المعتزلة والتطرق لمسألة الإرادة الالهية وتعلقها بأفعال العباد.
5. غالبا ما يعزو المفسرون الأقوال إلى أصحابها، ويندر نقل آراء دون نسبتها إلى أصحابها، وغالبا ما يستخدم تعبير: (وقيل) للدلالة على ضعف الرأي المنقول وعدم ترجيح المفسر له.
6. إن الغالب على مناهج المفسرين وخاصة في العصر الحديث في تناولهم لتفسير هذه الآية الكريمة الاهتمام بتنبيه العبد إلى وظيفته التي خلق لها للتحقق بالعبودية دون الخوض كثيرا في مسائل نظرية لا تنفعه في علاقته مع ربه سبحانه وتعالى. ودون التطرق الى مسألة تعليل أفعال الله والخوض في تفاصيل الإرادة الالهية، إذ كان جل اهتمامهم موجها إلى توجيه القارئ إلى ضرورة ممارسة العبادة في حياته كلها دون الخوض في مسائل نظرية لا طائل من بحثها.

**التوصيات:**

لقد كثرت الخلافات والتعصب للآراء بين طلاب العلم في مسائل عقدية لا تحتاج الى مثل هذا التعصب وتوسيع دائرة الخلافات، واننا في امس الحاجة الى كتابة ابحاث تبين مناهج العلماء السابقين في تناول المسائل العقدية بلا تعصب ولا توسع في ذكر الخلافات بل بالتركيز على الجانب العملي وما يمكن الاستفادة منه في فهم النصوص الدينية بما يحقق العبودية الحقة للعباد، لذا أوصي بتكثيف الأبحاث التي تقرب من وجهات النظر وتركز على المناهج العلمية المتزنة والوسطية.

وختاما نسأل الله تعالى أن يرزقنا التحقق بالعبودية التي يرضاها وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وآخر دعوانا أن صل اللهم وسلم وبارك على رسولك الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

**الهوامش**

(1) انظر: الذهبي، محمد، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، مصر، ط7، 2000م.
(2)انظر: عباس، فضل، التفسير أساسياته واتجاهاته، دار دنديس، عمان، ط1، 2005م.
(3) انظر: عباس، فضل، المفسرون مدارسهم ومناهجهم، دار النفائس، الاردن، ط1، 2007م.
(4) انظر: الزرقاني، محمد، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995م.
(5) انظر: الخالدي، صلاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط3، 2008م.
(6) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1999م، ج25، ص16.
(7) المرجع ذاته، ج25، ص16-17.
(8) المرجع ذاته، ج25، ص17.
(9) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، ج4، ص288.
(10) المرجع ذاته، نفس ج وص.
(11) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط1، 1991م، ج14، ص39-40.
(12) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج14، ص40
(13) المرجع ذاته، ج14، ص40
(14) المرجع ذاته، ج14، ص40
(15) أخرجه الشيخان: البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن، باب فسنيسره لليسرى(6/ 170) ومسلم في صحيحه كتاب القدر، باب كيفية خلق الادمي في بطن امه (4/ 2039)
(16) أخرجه الشيخان: البخاري في **صحيحه**، ك الجنائز، ب إذا أسلم الصبي فمات...، ح1358، ص285، وأطرافه فيه: ح1359، ص285، وح1385، ص290-291، وح4775، ص1028، وح6599، ص1399. وبنحوه أخرجه مسلم في **صحيحه**، ك القدر، ب معنى كل مولود يولد على الفطرة...، ح2658، ص1275-1276
(17) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج14، ص40-41.
(18) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الارقم، ط1، 1998م، ج4، ص298.
(19) المرجع ذاته.
(20) المرجع ذاته.
(21) الرازي محمد بن عمر، مفاتيح الغيب /التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، ط3، 1985م ج27، ص231-232.
(22) انظر الوجوه الخمسة التي بينها الرازي في جواب المسألة الأولى والجوابين للمسألة الثانية في: الرازي، مفاتيح الغيب، ج27، ص232.
(23)الرازي، مفاتيح الغيب ج27، ص232-233.
(24) الرازي، مفاتيح الغيب، ج27، ص233.
(25)المرجع ذاته، نفس ج وص.
(26) المرجع ذاته، ج27، ص233-234.
(27) الكتاني علي ابن محمد، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الصديق، مكتبة القاهرة، د.ط، د.ت، ج 1، ص 148
(28) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق محمود الأرناؤوط ومحمد قهوجي، مكتبة العروبة، الكويت، ط2، 1989م، ص342
(29) العجلوني، اسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 2000م، ج2، ص173.
(30) البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1998م، ج4، ص151.
(31) المرجع ذاته، نفس ج وص.
(32) في تفسير البقاعي لقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(119)} نفى مخالفة هذه الآية لقوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} وقال: "بل هو من شكله، أي إنه تعالى لما ركبهم على العجز ومنحهم العقول مع نصب الأدلة، كان ذلك مهيئاً للعبادة فكانوا كأنهم ما خلقوا إلا لها؛ أي ما خلقتهم إلا ليعرفون بنفوذ أقضيتي وتصاريفي فيهم فيعبدون، أي يخضعوا لي فمن كان منهم طائعاً فهو عابد

حقيقة، ومن كان عاصياً كان عابداً مجازاً، أي خاضعاً للأمر لنفوذه فيه وعجزه عن الامتناع كما قال تعالى {ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً} [الرعد: 15]، فقد بان أن خلقهم للعبادة فقط ينافي خلقهم للاختلاف، لأن جريهم في قضائه بالاختلاف عبادة وسجود لغة، وذلك أن مادتي عبد وسجد تدوران على الخضوع والذل والانقياد، وبذلك كان الكل عبيد الله، أو الإشارة إلى مجمع الاتفاق والاختلاف ليظهر فضله على من ثبتهم ويظهر عدله فيمن خذلهم" البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1995م، ج9، ص401- 402

(33) البقاعي، نظم الدرر، ج18، ص480-481

(34) الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، د.ط، 1285 هـ، ج4، ص 107.

(35) الشربيني، السراج المنير، ج4، ص 107- 108

(36) المرجع ذاته،، ج4، ص 108

(37) المرجع ذاته، نفس ج وص.

(38) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ، ج4، ص 406.

(39) الهمذاني، القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق: الاب.ج.جنواتي، المؤسسة المصرية العامة، مصر، د.ط، د.ت، ج6، ص51.

(40) ورد في النص الأصلي {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعالمين} [ال عمران:108] وأشار المحقق في الحاشية أنه في نسخة أخرى من المخطوطة ورد: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِباد} [ غافر:31].

(41) الهمذاني، القاضي عبد الجبار، الأصول الخمسة، تحقيق وتقديم: د.فيصل عون، مجلس النشر العلمي، الكويت، د.ط، 1998م، ص80.

(42) انظر وجوه استدلالهم بالآيات الكريمة في هذه المسألة في: القاضي عبد الجبار، المصدر ذاته، ص459-461. وانظر أدلتهم العقلية على ذلك في: الهمذاني، القاضي عبد الجبار، المحيط بالتكليف، جمع: الحسن بن أحمد ابن متوية، تحقيق: عمر السيد عزمي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د.ط، د.ت، ص299-305. وانظر ردود العلماء على استدلالات المعتزلة في هذه المسألة في: الباقلاني، ابو بكر بن الطيب، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص162-166 الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، نهاية الأقدام في علم الكلام، ص259-260، الرازي، مفاتيح الغيب، مج3، ج5، ص212, الايجي، عضد الدين عبد الرحمن، المواقف في علم الكلام، ص 322، الجرجاني، الشريف علي، شرح المواقف، ومعه حاشيتا السيالكوتي والجلبي، مج4، ج8، ص197-199

(43) ابن المنير الإسكندري، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ، ج4، ص 406.

(44) أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، مراجعة: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1992م، ج9، ص561.

(45) المرجع ذاته، ج9، ص561-562.

(46) المرجع ذاته، ج9، ص562.

(47) المرجع ذاته، ج9، ص562.

(48) أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ج6، ص141.

(49) المرجع ذاته، ج6، ص141-142.

(50) درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية سورية / دار اليمامة، دمشق وبيروت، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط4، 1415 هـ، ج9، ص 323.

(51) المرجع ذاته، ج9، ص 324.

(52) القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1423 هـ/ 2003 م، ج17، ص 55

(53) المرجع ذاته، ج17، ص 55- 56.

(54) القشيري، عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4، د.ت، ج3، ص 470.

(55) الألوسي، أبو الفضل محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ج27، ص 20.

(56) الآلوسي، روح المعاني، ج 27، ص20-21.
(57) المرجع ذاته، ج27، ص21.
(58) الآلوسي، روح المعاني، ج27، ص21-22.
(59) المرجع ذاته، ج27، ص22
(60) المرجع ذاته، نفس ج وص.
(61) الالوسي، روح المعاني، ج27، ص 25- 26.
(62) المرجع ذاته ج27، ص26. وقد ذكر الالوسي بعد ذلك معنى قوله (كنز) بكلام غامض في المرجع ذاته نفس الجزء والصفحة.
(63) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل، خدمه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربيه، د.ط، د.ت، ج15، ص5538.
(64) قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت/القاهرة، ط17، 1412 هـ، ج6، ص 3373.
(65) المرجع ذاته، ج6، ص 3374.
(66) في ظلال القران، ج6، 3386- 3387.
(67) المرجع ذاته، ج6، ص 3387.
(68) المرجع ذاته، ج6، ص 3387.
(69) انظر: المرجع ذاته ج6، ص 3387- 3389.
(70) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ج3، ص 240.
(71) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر- دمشق، ط2، 1418هـ، ج27، ص46.
(72) الزحيلي، التفسير المنير، ج27، ص 48.
(73) المرجع ذاته، ج27، ص48- 49.
(74) المرجع ذاته، ج27، ص 49.
(75) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة،ط1، 1998م، ج14، ص29.
(76) المرجع ذاته، ج14، ص29.
(77) المرجع ذاته، ج14، ص29-30.
(78) المرجع ذاته، ج14، ص30.
(79) المرجع ذاته، ج14، ص30.

**المصادر والمراجـع**


الآلوسي، م (د.ت)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج27، ص20-22 وص25-26.

الايجي، ع (د.ت)، المواقف في علم الكلام، د.ط، القاهرة، مكتبة المتنبي، ص322.

الباقلاني م (1413هـ/1993م)، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد زاهد الكوثري، ط3، القاهرة،مكتبة الخانجي، ص162-166.

البخاري، م (1422هـ)، الجامع المسند الصحيح، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط1، دار طوق النجاة، ص285، 290-291، 1028، 1399.

البغوي، ح (2000م)، معالم التنزيل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت، دار احياء التراث العربي، ج4، ص288.

البقاعي، إ (1995م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ج9، ص401-402، وج18، ص480-481.

البيضاوي، ع (1998م)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، بيروت، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ج4، ص151.

الجرجاني، ع (1419هـ/1998م)، شرح المواقف، ومعه حاشيتا السيالكوتي والجلبي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، مج4، ج8، ص197-199.

أبو حيان، م (1992م)، البحر المحيط في التفسير، مراجعة: صدقي محمد جميل، د.ط، بيروت، دار الفكر، ج9، ص561-562.

الخالدي، ص (2008م)، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط3، دمشق، دار القلم

درويش، م (1415 هـ)، إعراب القرآن وبيانه، ط4، سورية، دار الإرشاد للشئون الجامعية، دمشق – بيروت،. دار اليمامة ودار ابن كثير، ج9، ص323.
الذهبي، م (2000م)، التفسير والمفسرون، ط7، مصر، مكتبة وهبة،
الرازي، م (1985م)، مفاتيح الغيب /التفسير الكبير، ط3، بيروت، دار الفكر، ج27، ص231–234.
الزحيلي، و(1418هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دمشق، دار الفكر المعاصر، ج27، ص48–49.
الزرقاني، م (1995م)، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي.
الزمخشري، م (1407 هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي، ج4، ص406.
أبو السعود، م (د.ت)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ج6، ص141–142.
السيوطي، ع (1989م)، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق محمود الأرناؤوط ومحمد قهوجي، ط2، الكويت، مكتبة العروبة، ص242.
الشربيني، م (1285 هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، د.ط، القاهرة، مطبعة بولاق (الأميرية)، ج4، ص107–108.
الشهرستاني، م (د.ت)، نهاية الأقدام في علم الكلام، حرره وصححه: الفرد جيوم، د.ط، ص259–260.
الصابوني، م (1997م)، صفوة التفاسير، ط1، القاهرة، دار الصابوني، ج3، ص240.
الطبري، م (1999م)، جامع البيان في تأويل القرآن، د.ط، بيروت، دار الفكر، ج25، ص16–17.
العجلوني، إ (2000م)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج2، 173.
ابن عطية، ع (1991م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق:السيد عبد العال السيد ابراهيم، ط1، قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ج14، ص39–40.
عباس، ف (2005م)، التفسير اساسياته واتجاهاته، ط1، عمان، دار دنديس.
عباس، ف (2007م)، المفسرون مدارسهم ومناهجهم، ط1، عمان، دار النفائس.
القاسمي، م (د.ت)، محاسن التأويل، خدمه: محمد فؤاد عبد الباقي،د.ط، دار احياء الكتب العربيه، ج15، ص5538.
القرطبي، م (1423 هـ/ 2003 م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، د.ط، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب، ج17، ص55–56.
القشيري، ع (د.ت)، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط3، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج3، ص470.
قطب، س (1412 هـ)، في ظلال القرآن، ط17، بيروت/القاهرة، دار الشروق، ج6، ص3373–3389.
الكتاني، ع (د.ت)، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الصديق، ط 1، القاهرة، مكتبة القاهرة. ج1، ص148.
ابن كثير، إ (1998م)، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار الارقم، ج4، ص298.
ابن المنير الإسكندري أ (1407 هـ)، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف للزمخشري، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي، ج4، ص406.
النيسابوري، م (د.ت)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص1275–1276.
الهمذاني، ع (د.ت)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق: الاب.ج.جنواتي، د.ط، مصر، المؤسسة المصرية العامة، ج6، ص51.
الهمذاني، ع (1998م) الأصول الخمسة، تحقيق وتقديم: د.فيصل عون، د.ط، الكويت، مجلس النشر العلمي، ص80.
الهمذاني، ع (د.ت)، المحيط بالتكليف، جمع: الحسن بن أحمد ابن متوية، تحقيق: عمر السيد عزمي، د.ط، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص299–305.

**الدوريات:**

العبادة في الإسلام وعلاقتها بالتوحيد، د.محمد نبيل طاهر العمري، **مجلة دراسات**، مجلد 43 سنة 2016م.
لا إكراه في الدين دراسة تفسيرية مقارنة، جادالله صلاح ود.جهاد نصيرات، **مجلة دراسات**، مجلد 42، عدد3، 2015م.
نحو دفع قدر الاختلاف بقدر الرحمة، د.نداء زقزوق ومحمد البيبي، **مجلة دراسات**، مجلد 43 عدد2 2016م.

# Method of the Interpreters in Explaining the Acts of God through their Interpretation of the Almighty:"I Have Only Created Jinns and Mankind Only to Worship me "(Az-Zariyat:56)

***Marwa Mahmoud Kharma ****

## Abstract

There are many views of the interpreters in the interpretation of the verse: (I have only created the jinn and mankind only to worship me). Their methods also differ in the explanation of the acts of God, denying the explanation or not addressing the issue through their statement to the type of the infallibility in the verse (to worship). Some of them have not referred to the issue of the nodal, and some of them have referred to the stray teams and responded to them through the interpretation of the verse. In this study, there are two opinions in interpreting the verse between making it general, including the jinn and all mankind, and making it specific for the believers only. The latter case does not cause a problem in understanding this verse, but the former is problematic because of its understanding of what is the scenes of non-worship of all to God Almighty. Interpreters has pushed this problem into several directions. And the greatest concern for most interpreters in the interpretation of this verse does not go into the issue of explanation of God's actions in the manner of speakers, but the greatest interest in most interpreters is to direct the slave to perform the function of voluntary servitude, which is saved on the Day of Resurrection. This is the best method to follow in the interpretation of verses God Almighty to draw attention to the practical side instead of going into useless theoretical issues.

**Keywords**: Curriculum, Interpreters, Worship, Explanation of God's Deeds.

* Department of Sharia and Islamic Studies, the College of Law, UAEU. Received on 25/2/2018 and Accepted for Publication on 14/8/2018.